



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الرابع والثمانون / السنة الواحدة والخمسون

رَجَب - ١٤٤٢ هـ / آذار ٢٠٢١ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الرابع والثمانون السنة: الواحدة والخمسون رجب - ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
أعضاء هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثر	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آل/ فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د. أسماء سعود إدهام	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

- ١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .
- ٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .
- ٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- ٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
 - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .
 - تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمراجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
 - يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .
- ٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
 - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
 - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
 - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٥٢ - ١	الأشعار الأندلسية المتنازع في نسبتها أ.د. صلاح جرار و م.د. رشأ الخطيب
٨٠ - ٥٣	تمثلات النسق الشعري في قصيدة مكابيات ليلي في العراق لبشرى البستاني أ.م.د. إخلاص محمود عبدالله
١١٨ - ٨١	الخطاب المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل أ.م.د. رائد فؤاد طالب الرديني
١٩٠ - ١١٩	ظاهرة التصغير في معجم الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) دراسة وصفية تحليلية أ.م.د. نبيلة شكر المعاضبي
٢٢٠ - ١٩١	الإخوانيات عند شعراء من الإمارة الحميدية الكردية أ.م.د. رشاد كمال مصطفى كمال العقراوي
٢٤٦ - ٢٢١	المباحث الدلالية عند ابن فارس في كتاب ((الصاحبي)) م.د. عبدالرحيم أحمد الأمين
٢٦٦ - ٢٤٧	الأدب الأندلسي في دراسات بالنثيا: كتاب (تأريخ الفكر الأندلسي) مثلاً م.د. سعدية أحمد مصطفى
٢٩٦ - ٢٦٧	التوثيق اللغوي عند الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) - الرؤية والمشاهدة أنموذجاً - م.م. فتن محمد خيري الحياي
٣١٢ - ٢٩٧	الجذور الثلاثية التي زادت على ثلاثة معانٍ في مقاييس اللغة- ألفاظ الذهاب أنموذجاً م.م. وضّاح علي الجعشي
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٣٣٠ - ٣١٣	مصطفى اسماعيل ودوره في سقوط تونس ١٨٥٣-١٨٨١ أ.م.د. سعد توفيق عزيز البزاز
٣٥٦ - ٣٣١	العلاقات الليبية- السوفيتية ١٩٦٩-١٩٩١ أ.م.د. نهاية محمد صالح
٣٩٠ - ٣٥٧	العلاقات اليوغسلافية - الأمريكية إبان حكم جوزيف بروز تيتو (١٩٤٥-١٩٨٠م) م.د. عبد شاطر عبد الرحمن المعماري
٤١٠ - ٣٩١	دور الأتراك السياسي والعسكري في عصر أمرة الأمراء (٣٢٤ - ٣٣٤هـ / ٩٣٦ - ٩٤٦م) م. إسماعيل محمد الجبوري
٤٤٠ - ٤١١	مشروع دولة اليونان الكبرى ١٨٣٠-١٩٢٢ م.م. أكرم جمعة صالح
بحوث علم الاجتماع	
٤٦٨ - ٤٤١	الشرطة المجتمعية وآليات التعامل مع الجرائم المستحدثة حسن انهير عيدان أ.م.د. وعد إبراهيم خليل

بحوث المعلومات والمكتبات

٥٠٦ - ٤٦٩

قياس جودة الخدمات المكتبية باستخدام (LibQUAL+®): المكتبة المركزية لجامعة بغداد أنموذجاً
م.د. تيسير فوزي رديف

بحوث القانون والعلوم السياسية

٥٣٠ - ٥٠٧

الإعلام ودوره في السلم الأهلي
م. هدى هادي المجمعى

الخطاب المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل

أ.م.د. رائد فؤاد طالب الرديني*

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١١/٢٣

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٩/٢٥

المستخلص:

شغلت العتبات النصية حيزا كبيرا في الدرس النقدي منذ أن تناولها جيرار جنيت في كتابه العتبات، إذ شكلت منطلقا لدراسة النصوص في أنواعها المختلفة سواء الإبداعية منها أم النقدية، وقد برز ذلك عبر المقاربات التي سعت إلى دراسة ما مثل تلك العتبات من العنوانات والمقدمات وبيانات النشر وغيرها من العتبات، ودراسة المقدمات لا زالت تقتفر إلى الدراسات والمقاربات التحليلية - ولا سيما المقدمات النقدية - التي تشكل عتبة لكثير من الخطابات النقدية، والذين تناولوا المقدمات انصبت جهودهم على دراسة المقدمات الإبداعية، وفي بعض من تلك الجهود ذهبت إلى دراسة المقدمات النقدية، أما دراسة مقدمات الترجمات العربية للمصنفات النقدية الغربية فإنها لم تظفر بدراسات تحليلية إلا ما ندر وفي نطاق ضيق جدا، وهو ما نسعى إلى مقارنته في بحثنا هذا الذي يتناول مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته عبر ما قدمه من قضايا وطروحات في هذه المقدمات، محاولين الوقوف عند ثلاث مقدمات للدراسات التي ترجمها عن الانجليزية .

الكلمات المفتاحية: الخطاب، العتبات، المقدمات، النقد، عزالدين إسماعيل .

توطئة :

شغلت العتبات النصية حيزا كبيرا في الدرس النقدي منذ أن تناولها جيرار جنيت في كتابه العتبات، إذ شكلت منطلقا لدراسة النصوص في أنواعها المختلفة سواء الإبداعية منها أم النقدية، وقد برز ذلك عبر المقاربات التي سعت إلى دراسة ما مثل تلك العتبات من العنوانات والمقدمات وبيانات النشر وغيرها من العتبات، في محاولة للاقترب

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب / جامعة البصرة .

من عمق النصوص ومحاولة استنطاقها ومحاورتها ورسم صورة للعلاقة بين هذه النصوص وعتباتها والسعي نحو إضاءة السياق الذي تشكلت منه .

وإذا كانت عتبة العنوان - وغيرها من العتبات - قد أخذت استحقاقها من الدراسة والتحليل في النصوص الإبداعية ، فإن المقدمات لا زالت تفتقر إلى الدراسات والمقاربات - ولا سيما المقدمات النقدية - التي تشكل عتبة - لا يستهان بها - لكثير من الخطابات النقدية ، لاسيما انها تمثل الحجر الأساس الذي ينطلق منه الناقد نحو مصنفه النقدي .

والذين تناولوا المقدمات انصبت جهودهم على دراسة المقدمات الإبداعية وفي بعض من تلك الجهود ذهبت إلى دراسة المقدمات النقدية ، أما دراسة مقدمات الترجمات العربية للمصنفات النقدية الغربية - وهو ما نسعى لمقارنته في بحثنا هذا الذي يتناول مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته - فتكاد تكون منعدمة إلا ما ندر* ، لاسيما حين تكون هذه المقدمات (الترجمية) تشكل عتبة بارزة عبر ما تقدمه من قضايا وطروحات لا يمكن تجاهلها ، وقد أخذت حيزا لا يستهان به من صفحات الترجمة .

* * *

تشكل العتبات النصية المنطلق الأول للدخول إلى متن النص ، بما تشكله من أهمية بارزة في فهم المتن ومؤلفه وسياق كتابته والعناصر المحيطة به ، وقد ((بدأت عناية النقد الغربي الحديث تنصب على دراسة عتبات النص وتحليل عناصرها وبنياتها مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، إذ ظهرت مجموعة من المقاربات التي اهتمت بدراستها وتتبعها ، ولئن كانت جميعها اتفقت على التمييز بين مستويين من الخطاب في أي مؤلف ، هما النص وعتباته ، فقد أبرزت أنهما مكونان يختلفان في الدرجة والطبيعة أيضا ، لأن كلا منهما يتميز عن الآخر بوظيفته الخاصة ، وشكل اشتغاله ، وطبيعة تمظهره وموقعه في فضاء النص ، ونوعية الحمولة (الإيديولوجية التي تتطوي عليها))^(١) ، ومن هنا غدت العتبات النصية بناء دلاليا يتكئ على مجموعة من المقومات التي تسعى

* يستثنى من ذلك مقالة الدكتورة نادية هناوي سعدون الموسومة بـ(نقد النقد في التقديم للكتب النقدية

(الترجمة) ، المنشورة في جريد الدستور الاردنية ، ٢٧ تشرين الاول / اكتوبر ، ٢٠١٧ .

(١) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر ، يوسف الادريسي ، الدار العربية للعلوم

ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ٢٠١٥ : ٥٥

إلى الكشف عن متن النص وصاحبه ، كما انها تحاول الوصول إلى مقصدية العمل ومساءلته عبر بعده التداولي الذي يكشف عن أبعاده السياقية المنتجة .

ان العتبات النصية الممهدة والمحيطة للمتن ك(العنوانات ، والإهداءات ، والمقدمات ، وكلمات الناشر، واسم المؤلف ، والأيقونة ، ودار النشر ،.....)، إنما تشكل ((نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يحفره أو يحيط به ، بل انه يؤدي دورا مهما في نوعية القراءة وتوجيهها))^(١) ، ف ((قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص ، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها ، فكذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته ، لأنها تقوم من بين ما تقوم به بدور الوشاية والبوح ، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في ضمان قراءة سليمة للكتاب))^(٢) أو للنص ، مما جعل جبرار جنيت يؤكد أن النص الموازي في كل أشكاله ((خطاب ... مساعد وموجه لخدمة أشياء أخرى التي تشكل وعي كينونته ، وهو النص))^(٣) ، لهذا كانت هذه العتبات وسيلة لا غنى عنها في إضاءة النص ومحاولة فهمه وتشكله عبر تداخلاته المتعددة وتعالقاته المختلفة وملابساته السياقية ضمن بنية دلالية منتجة يشترك فيها المتلقي عبر مساءلته للمعاني والمضامين الدالة .

وعلى الرغم من الاختلافات البنيوية والشكلية بين العتبات النصية وتفاوت درجات حضورها في المؤلفات وأشكال ارتباطها بمتونها ، إلا أنها تشكل مجتمعة حدا فاصلا بين الصمت والكلام ، النص والعالم ، ولحظة اتصال بين المرسل(المؤلف) ومتلقي النص (القارئ) وبوصفها بداية ، ومن ثمة أنت ضرورة عتبات النص لكونها تمثل الجسر الذي يسلك عبره المتلقي إلى أغوار النص ، وهي بالنظر إلى استهلالها تنتج خطابا حوله ،

(١) مدخل الى عتبات النص : دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، عبد الرزاق بلال ، افريقيا الشرق

المغرب - الدار البيضاء ، افريقيا الشرق بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠ : ١٦

(٢) المصدر نفسه : ٢٣-٢٤

(٣) عتبات (جبرار جنيت من النص الى المناص) ، عبد الحق بلعابد ، الدار العربية للعلوم ناشرون -

بيروت ، منشورات الاختلاف - الجزائر ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ : ٥٧

يعرف به ويغري بقراءته، ويقترح الطريقة المناسبة لذلك^(١)، إنها ترسم استراتيجية فعل التلقي من القارئ بما تتكئ عليه من عمق يطمح إلى إضاءة النص وتجليّة دلالاته الخفية. وتعدّ المقدمات إحدى تجليات النص الموازي، وعنصراً أساسياً من مكونات العتبات النصية، إذ إن العناية بالمقدمة يندرج بوصفها ((أولاً وقبل كل شيء نصاً موازياً يمتلك عدة وظائف واهداف تعين الغرض من التأليف وطريقة تنظيمه، هكذا يكتسب نص المقدمة قضاياها الخاصة مثلما يكتسب جانباً خصباً من جوانب التعبير التي تسمح للمؤلف بتحديد جملة من المفاهيم والأشكال التي يعرض لها في تناوله وتحليله فيصبح نص المقدمة متعلقاً مع النص المؤلف وحاملاً للعديد من القرائن الموجهة للقراءة والمساعدة على الفهم والاستيعاب))^(٢)، مما يجعلها عتبة لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها من المتلقي والمنشئ على حد سواء، وهذا ما يجعلها تأخذ أهمية بارزة في النص / المتن، بوصفها خطاباً موجهاً للمتلقي يرسم خارطة للتعامل مع النص المؤلف بما تقوم به من وظيفة تداولية توجيهية تضمن قراءة سليمة للنص المؤلف، كما تسعى إلى إعطاء تصور أولي لجوهر العمل، ومنطلقاً أساسياً يعين القارئ على فك الشفرات واكتشاف الدلالات الثاوية في أعماق النص، فالمقدمة ((ممارسة مرتبطة بوجود المؤلف غير منفصلة عنه، توجد حول النص وتدور في فضاء المصنف وليس خارجه، وهي بذلك جزء من النص تمدّه بقوة قصدية وظيفية تصير ملازمة له...، إن المقدمة خطاب موجه نحو النص والقارئ قصد بناء، أو تحديد نمط من القراءة المتوخاة، وهذه الوظيفة التوجيهية جزء من استراتيجية المقدم في تحديد علاقة القارئ بالنص))^(٣)، وهذا ما يعني أن المقدمة ممارسة معرفية، تصدر من المؤلف وتتجه نحو القارئ لتكشف له أسس التعامل مع النص، وهو ما يؤدي من ثمّ إلى قراءة منتجة تضيء النص وتعين المتلقي على فهم مضامينه وفك ما قد يختفي من دلالات قصدها المؤلف.

(١) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : ٥٧

(٢) عتبات النص البنّية والدلالة، عبد الفتاح الحجري، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط : ١، ١٩٩٦ : ٤٣

(٣) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص، احمد المنادي، مجلة علامات، ج : ٦١، مج : ١٦، جمادى الاول ١٤٢٨ هـ، مايو ٢٠٠٧ : ١٤٤ - ١٤٥

المقدمة .. المفهوم والدلالة :

جاء في المعجم الوسيط : المقدمة ((من كل شيء أوله ، ومن الجيش طائف منه تسير أمامه ، ومنه يقال: مقدمة الكتاب ، ومقدمة الكلام))^(١) ، ومقدمة الشيء : أوله وضع المسألة في مقدمة اهتماماته ... ، مقدمة الكتاب : ما يقدمه المؤلف من بيانات حول موضوعه توحى مقدّمات الكتب بما تحويه ، مقدّمة الخطبة : كلام استهلالي يبدأ به الخطيبُ خطبته^(٢) ، نستنتج مما سبق أن المقدمة لغة هي ما يُبتدأ به الكلام ، وما يكون في البداية .

والمفهوم الاصطلاحي لا يبتعد عن الدلالة اللغوية للمقدمة ، فالمقدمة في اصطلاح بعض الدراسين ((جزء من كتاب ، طائفة من كلامه ، من كلام مؤلفه ، لها ارتباط بموضوع الكتاب وبالغاية منه ، وظيفتها أن تقدم ما يُنتفع به في فهم الكتاب))^(٣) ، ويعرفها بعضهم بأنها: ((مقال يقدّم به المؤلف أهمّ المبادئ والمناهج التي سيقوم عليها مؤلفه فيما بعد))^(٤) ، وقد تأخذ المقدمة تسمية (الفصل) في بعض المعاجم ، فالمقدمة هي ((الفصل الأول من الكتاب يتناول بشيء من الإجمال الأسس التي يقوم عليها الكتاب ، والتي بدونها لن يفهم تخطيط تأليفه ، والمألوف أن تكون المقدمة في طول فصل تقريبا تميزا لها عن التمهيد السابق عليها))^(٥) ، وهكذا نجد أن المقدمة عتبه الكتاب ، بدايته ، فصله الأول ، بيانه الذي يكشف فيه مؤلفه خطة كتابه وطريقة قراءة نتاجه .

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤ : ٧٢٠

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط : ١ ،

٢٠٠٨ : مادة : قدم : ١/١٧٨٦

(٣) مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع ، عباس ارحيلة ، المؤسسة العربية للفكر والإبداع

ط : ٢ ، ٢٠١٧ : ٥٨

(٤) عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي ، كمال عرفات نبهان، مركز دراسات

الحضارة الاسلامية وادارة المشروعات الخاصة بمكتبة الاسكندرية ، ٢٠١٥ : ١٧٣

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت

ط : ٢ ، ١٩٨٤ : ٣٨٠

ولهذا فإننا إذا ما أردنا أن ننظر إلى الخطاب المقدّماتي ، في صورة موحية لكل دلالاته ومفهوماته لإصطلاحية فإنه يتحدد في النص الذي يسبق الكتاب ، يقوم بكتابتة المؤلف أو من ينوب عنه في تقديم الكتاب ، وتكون وظيفته التعريف بكل ما له علاقة بموضوع الدراسة وحيثياتها ، كما تطمح أن تقدم إشهارا بالكتاب من حيث أهميته المعرفية وطريقة قراءته التي من شأنها تقديم تصور للمتلقي بما يضمن قراءة سليمة ومنتجة لمتن الكتاب .

والمقدمات ليست على وتيرة واحدة ، بل قد تتعدد وتختلف باختلاف مؤلفيها ، ((مقدمة المؤلف غير مقدمة الناقد ، وهي تختلف عن مقدمة المحقق ، ومقدمة المترجم اختلافها عن مقدمة المشرف أو الناشر ، وطبيعة الكتاب ونوع اختصاصه من العوامل التي تجعل هذه المقدمة تختلف عن تلك ، ففرق بين مقدمة الكتاب المدرسي ومقدمة الكتاب الإبداعي ، وفرق بين مقدمة الكتاب السياحي ومقدمة الكتاب العلمي ، بل إن المقدمات لتختلف طبيعتها داخل النمط الواحد من الخطاب))^(١) ، وهذا ما يجعل وظائف المقدمات تختلف باختلاف تلك المقدمات ، بل إن المقدمة الواحدة تكون لها أكثر من وظيفة ، وهذه الوظائف تتنوع بتنوع مقصدية الكاتب لمقدمته .

فالمقدمة بوصفها نصا موازيا ((يمتلك عدة وظائف وأهداف تعين الغرض من التأليف وطريقة تنظيمه ، هكذا يكتسب نص المقدمة قضاياها الخاصة مثلما يكتسب جانبا خصبا من جوانب التعبير التي تسمح للمؤلف بتحديد جملة من المفاهيم والإشكاليات التي يعرض لها في تناوله وتحليله فيصبح نص المقدمة متعالقا مع النص المؤلف وحاملا للعديد من القرائن الموجهة للقراءة والمساعدة على الفهم والاستيعاب))^(٢) ، مما يجعلها عتبة لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها من المتلقي والمنشئ على حد سواء.

وقد اهتمت الثقافات العالمية قديما وحديثا بالمقدمات وبدورها في إضاءة النص المؤلف أو في وظيفتها التوجيهية من الكاتب ، فقد ((كان الخطاب المقدّماتي حاضرا بشكل مكثف في الثقافة العربية القديمة في المؤلفات النقدية باعتباره سنة واجبة ، وضرورة

(١) في تحليل الخطاب ، د. حاتم عبيد ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، ط : ١ ، ٢٠١٣ : ٥٩-٦٠

(٢) عتبات النص البنوية والدلالة : ٤٣

لها شروطها ومواصفاتها التي تختلف كلياً عن شروط المقدمات الحديثة فيما كان الخطاب التاريخي كما عرف عند ابن خلدون والطبري والمسعودي وباقي المؤرخين يتلبس شكل المدخل ((^(١)) ، ولم يكن حضور المقدمات في الثقافة العربية مرتعنا بهذه السنّة الجارية أو العادة المتبعة بقدر ما كانت تؤدي وظيفة تتسق والخطاب التأليفي ، فقد كانت هذه المقدمات ((تنتج خطاباً واصفاً لمتن الكتاب تبين فيه طبيعة موضوعه ، وتحدد مجاله المعرفي ، وتكشف دواعي الكاتب الذاتية والموضوعية لتأليفه ، وتشير أحياناً إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصورات أحكامه ، وإلى الضوابط المنهجية التي تتحكم في طرق عرضها وتحليلها والدفاع عنها ، كما كانت تتضمن خطاطة مختصرة لأبرز مواد الكتاب وأهم أبوابه وفصوله ، وذلك بهدف وضع القارئ المفترض للنص أو المستهدف به في المدار المعرفي للمتن ، وإلى تهيئته نفسياً وذهنياً لكي يجيد فهمه ويحسن تلقيه))^(٢) ، وهذا ما يجعلنا نرى أن العرب كانوا على دراية كبيرة بما يتمتع به الخطاب المقدماتي من أهمية في مجال التأليف .

ولهذا فقد أهتم العرب بالقواعد الأساسية لتلك المقدمات عبر تحديد خصائصها البنيوية ووظائفها التداولية ، فأكدوا أن المتون لا تتحقق كينونتها النصية دون وجود عناصر التصدير أو الاستفتاح أو التقديم بوصفها جملة من المكونات الأساس التي تنتج خطاباً عن النص يتقدمه ليصفه للقارئ ويعرفه بموضوعه وبأهميته العلمية والمنهجية ، ويرشده إلى الطريقة المناسبة بقراءته والاستفادة منه ، وعلى الرغم من أن أغلب تلك التصورات لم تكن تستهدف إنتاج آليات منهجية في تحليل النصوص وقراءتها ، وظلت محكومة بغايات تعليمية وتوجيهية للكتاب الناشئين ، إلا أنها تقاطعت مع العديد من التصورات والأحكام التي انتهت إليها الدراسات الحديثة لعنابات النص^(٣) ، وهو ما يعطي

(١) هوية العلامات في العنابات وبناء التأويل - دراسات في الرواية العربية ، د. شعيب حليفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ : ٥٣ ، وينظر : الخطاب المقدماتي ، د. جميل حمداوي ، صحيفة المثقف ، ع : ٢٢٥١ ، ٢٠١٢/١١/٣

- <http://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama>

(٢) عنابات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : ٤٧

(٣) المصدر نفسه : ٥١

اصالة الفكر العربي في ميدان البحث العلمي ، حتى وإن لم يصل إلى ما وصلت إليه مناهج البحث الحديثة ، إذ يكفي أن نعرف أن العرب لم يكونوا بعيدين عن الارتقاء إلى مستويات متميزة في هذا الجانب .

أما في العصر الحديث فيرى جبرار جنبيت أن المقدمة لم تظهر - حسب رأيه - إلا في القرن السادس عشر الميلادي ، ومن ثم فإن ما كتب من مقدمات قبل هذه المدة يشكل جزءا من المتن لذا تسمى هذه لإفتتاحية الداخلية بالمقدمة المدمجة أو المقدمة المتصلة بمعنى أن المقدمة هي تلك الأسطر الأولى أو الصفحات الأولى من المتن أو النص الرئيس ، ولم تظهر المقدمة في أوروبا بمفهومها الحقيقي إلا مع ظهور الكتاب المطبوع ، فأصبحت المقدمة خطابا مستقلا بذاته يتميز طباعة وموقعا عن النص الداخلي أو المتن الرئيس ، ولهذا كثرت المقدمات في الثقافة الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ذلك بشكل موسع ومطرد^(١) ، مما جعلها مجالا خصبا لدراسات كثيرة ، إذ عدت حافلة بأسئلة معرفية تفتح آفاق النص المدروس ، وتكشف عبرها الكثير من الدلالات والرموز الحافلة التي تنتظر من يستنطقها ، ((إن المشروع النقدي الذي تتبدى ملامحه في خطاب المقدمة ما هو إلا جزء من مشروع فكري وحضاري عام ، يسعى عبره هذا الناقد أو ذلك إلى أن يجسد انخراطه في صلب إشكاليات عصره وإسهامه في تقديم إجابات ممكنة عنها ، ولهذا تصبح عملية القراءة والتفسير والتأويل مشروطة بربط المستوى النقدي بهذا النسق المعرفي العام الذي تشكله المقدمة مدخله الحقيقي))^(٢) .

وإذا كانت دراسة خطاب المقدمات في النقد الحديث قد توجهت أساسا نحو المقدمات للنصوص الإبداعية ، فإن دراسة المقدمات النقدية إذ لم تحظ بإهتمام كبير ، وعلى الرغم من بعض الدراسات النقدية في هذا الجانب ، إلا أن دراسة مقدمات الترجمات العربية للمؤلفات النقدية كانت شبه مغيبة ، لاسيما ان قسما من هذه المقدمات التي وضعها المترجمون لترجماتهم النقدية كانت مهينة لدراستها وإعادة قراءتها وتقييمها بما

(١) الخطاب المقدّماتي ، د. جميل حمداوي ، صحيفة المنقف ، ع : ٢٢٥١ ، ٣/١١/٢٠١٢

(٢) مدخل الى عتبات النص : ٩٩-١٠٠

حوته من قضايا نقدية وإشكالات منهجية ولاسيما عندما نكون إزاء ناقد مثل الدكتور عزالدين إسماعيل ومقدماته المطوّلة للكتب الثلاثة التي ترجمها عن الانكليزية .

* * *

الترجمة وخطاب المقدمات عند الناقد عزالدين إسماعيل :

تتميز الترجمة بأنها نقطة تواصل بين الثقافات والحضارات ومعبّر معرفي تمتزج فيه نتاج البشرية عبر مختلف اللغات العالمية ، كما أن الترجمة تعد البؤرة الثقافية المشكّلة للحوار الحضاري المشترك ، واداة مؤثرة في تطور اللغة القومية ، ومحفزة لنشاطات تواصلية تسهم في بناء الإنسان وتشكيل الوعي وصناعة المعرفة ، وقد تكون الترجمة أداة سلبية حين تؤدي إلى هيمنة ثقافية من الآخر فتتحول الترجمة إلى شكل من أشكال الهيمنة الاستعمارية أو العولمية .

ولهذا عُدّت الترجمة أبرز الأوجه التي يقاس عبرها حجم التطور المعرفي لدى الشعوب والدول ، بما تقدمه من إثراء ثقافي معبر عن حركة علمية تبادلية بين الأنا والآخر ، تعكس صورة للتلاقح بين حضارات متعددة ، كما تعطي تصورا لحوار حضاري خلاق بين الأفكار والمضامين الإنسانية ، ((فالترجمة عملية حوار بين المؤلف الذي أنتج النص الأصلي وبين المترجم الذي يعيد إنتاجه على الرغم من بُعد الشقة الزمانية أو المكانية بينهما ، والترجمة كذلك عملية حوار بين لغتين ... كونها حواراً بين ثقافتين ، ويؤدي كل حوار فعال إلى تغيير وتبديل وتعديل في مواقف المتحاورين))^(١) ، لاسيما ان الترجمة المعرفية تكون أكثر تغلغلا في الثقافة الوافدة وأعمق تأثيرا ، ذلك أن فعل الترجمة المعرفية يكتسي ((بعدا حواريا مع ثقافة الآخر، ويقدم نفسه - كمشروع إبستيمولوجي ومنهجي ، عبره يتم خلق قناة حوارية مع النماذج المعرفية الأخرى والاستفادة من معطياتها الفكرية والمفاهيمية والمنهجية ، ولهذا كثيرا ما تتحكم في هذه الترجمة المقاربة التبسيطية ؛ لأنها تتجه نحو أفق معرفي محدد غايته ترجمة مؤلفات تعريفية بمذاهب أدبية

(١) اثر الترجمة في التفاعل الثقافي ، د. علي القاسمي ، موقع : عتيدة ، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات

http://www.atida.org/index.php?option=com_content&view=article&id=173:2013

-03-30-08-34-27&catid=32:-2007&Itemid=6

ومدارس نقدية^(١) ، ومن هنا وجب على فعل الترجمة مراعاة هذا السياق المعرفي حتى تكون عملية التلاّح الثقافي سائرة في نسق تواصلية منتج .

وترجمة أي مؤلف نشاط معرفي تسبقه مقدمة تكون بمثابة المدخل أو العتبة الأولى لهذه الترجمة ، يسعى عبرها المترجم إلى إعطاء تصور عام عن الدراسة المترجمة ومنهجها ، فضلا عن أهمية المادة المترجمة وسياق ترجمتها ومنهجية المؤلف في ظروفه ، بما يجعلها تدخل في حوار مع النص المؤلف عبر طرح بعض القضايا التي تمهد أو تتشابه مع قضايا الدراسة المترجمة عبر مسائلة ومطارحة لما هو موجود من القضايا التي طرحها وسعى إلى معالجتها صاحب النص الأصلي/المؤلف .

وهذه المقدمات من طبيعتها انها مثل مقدمات الكتب والدراسات العامة أي أنها لا تتجاوز عددا من الصفحات ، فضلا عن أنها تكون مختصرة ومقتضبة ولا تطرح قضايا متشعبة ، إلا أن قسما من المترجمين استحالتم مقدماتهم إلى دراسات مستقلة تسبق النص المترجم .

فالناقد عزالدين إسماعيل من الذين برزوا وتميزوا في ترجماتهم بهذه المقدمات المطولة التي تعد في حد ذاتها دراسات مستقلة تسبق النص المترجم ، وهذا ما تميزت به مقدماته في ترجماته الثلاث التي يمكن أن نصفها بإنها أطروحة تفتح أفقا جديدا أمام الخطاب النقدي العربي عبر مناقشة معرفية عبر نقل ثلاث دراسات عن اللغة الانجليزية ، وقد جاءت هذه الدراسات في وقتها وضمن سياقها التاريخي لتلبي حاجة معرفية وأكاديمية ترمي إلى بلورة مشروع نقدي يطمح إلى بناء رؤية نقدية عربية تستفيد من الطروحات النقدية الغربية ، وقد أكد الناقد في حوار له بمجلة ثقافات أن ((الغاية من ترجمة هذه الدراسات في أنه جهد يصب في مجال عملية التحديث في الفكر العربي النقدي ، ولم تكن هذه الترجمات مجرد شهوة للترجمة أو رغبة أو اضافة عمل آخر إلى الأعمال التي قدمها كتابة وتفكيراً وإنشاء على المستوى النظري والتطبيقي ، بل كان إحساساً بأهمية هذه

(١) سؤال الترجمة : من نقطة التحويل إلى دائرة المناقشة ، عبد الرحمن التمار ، مجلة فكر ونقد المغربية

المناطق من الفكر النقدي الغربي وأهميتها بالنسبة لنا ، وأن هناك ضرورة تتطلب أن يكون بين أيدينا نمط التفكير الغربي في هذه الموضوعات كي نحدد موقعنا من الأشياء))^(١) ، ومن هنا كان لمقدمات الناقد عزالدين إسماعيل مبرراتها المشروعة في كتابتها التي تتسق وهذه الأهمية في اختيار ثلاثة موضوعات كان لها وقع كبير في الساحة النقدية .

وأولى ترجمات الناقد عزالدين إسماعيل في هذا السياق كتاب (نظرية التلقي مقدمة نقدية) لمؤلفه روبرت هولب ، الصادر في طبعته الأولى في السعودية عن النادي الأدبي الثقافي بجدة سنة ١٩٩٤ م ، إذ جاءت مقدمته في ست عشرة صفحة ، أما الكتاب الثاني الذي ترجمه الناقد فكان (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) لمؤلفه جوناثان كلر الصادر عن المكتبة الأكاديمية في مصر سنة ٢٠٠٠ م ، وقد جاءت مقدمة الناقد لهذه الترجمة في سبع وأربعين صفحة ، وبعدها بسنة أي في ٢٠٠١ م صدر الكتاب الثالث (مقدمة في نظريات الخطاب) لمؤلفته ديان مكدونيل ، وقد جاءت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لهذه الترجمة في ستين صفحة .

وستكون دراستنا لهذه المقدمات الثلاث عبر عدة محاور رئيسة ، الأول : الخطاب المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل بين المقدمة الذاتية والمقدمة الغيرية ، أما المحور الثاني فسيكون في البناء المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل ، والمحور الثالث سيدرس الوظيفة المقدماتية عند الناقد عزالدين إسماعيل .

* * *

أولاً : مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل بين المقدمة الذاتية والمقدمة الغيرية :

يميز الدارسون بين أنواع مختلفة للمقدمات ، وعبر مستويات متعددة أيضا ، فأما من ناحية مؤلف المقدمات فهناك المقدمة الذاتية التي يكتبها المؤلف نفسه لدراسته ، وهناك المقدمة الغيرية التي يكتبها غير المؤلف ، وهذ جعل بعض الدارسين ينظرون إلى مؤلف المقدمة على أنه موضوع إشكالي ومعقد ((لأن أشكال مؤلفي المقدمة ، حقيقيين

(١) حوار مع الدكتور عزالدين إسماعيل ، هيئة تحرير مجلة ثقافات البحرينية ع : ١ ، شتاء ٢٠٠٢ :

كانوا أم وهميين متعددة ، فهناك المؤلف المباشر الحقيقي اي صاحب المقدمة والمتن معا ، وفي هذه الحال غالبا ما يهيم ضمير (أنا) المتكلم الذي يعتبر خاصية من مميزات خطاب المقدمة لإنها - أي المقدمة - أكثر نزوعا إلى الخطاب القائم على ضمير المتكلم (أنا) فالمؤلف يفرض نفسه باعتباره كاتباً وأسلوباً يؤسس منه صورة أقرب لما يعتقد حقيقة ، وبهذا المعنى فالمقدمة بشكل عام خطاب أستاذية ، غير أن هناك حالات تكتب فيها المقدمة على لسان أشخاص آخرين غير المؤلف وفي غالب الأحيان تكون تلك الشخصيات من صنع المؤلف الحقيقي^(١) ، وأما من ناحية طبيعة المقدمة فهناك أيضا أنواع مختلفة ومتعددة ، فالباحث بلال عبد الرزاق يرى أنه لا بد من التمييز بين مستويين في المقدمة ، مقدمة يمكن تسميتها بمقدمة علم وأخرى نسميها مقدمة التأليف ، علما أن إمكانية تحول المقدمة الثانية إلى المستوى الأول واردة باستمرار ، فمقدمة العلم موضوعها تعرف مبدئي على مضامين هذا العلم ومشكلاته ومنهج بحثه ، ويمكن تكون تلخيصا قصيرا للمؤلف ، أما مقدمة التأليف فهي كل نص سابق عن متته أو لاحق له قصد تقديمه للقارئ ومدته بمنهج صاحبه وخطته في التأليف وقصده منه ، وكثيرا ما تدخل في علاقة مع المتن المقدم له^(٢) .

فضلا عن ذلك فإن بعض الدراسات قسم المقدمات إلى ثلاثة أنماط وذلك استنادا إلى طبيعة مضمون المقدمة ، إذ يرى د. عبد الكبير الخطيبي أنه ((يمكن التمييز بإجمال بين ثلاثة أنماط من التقديم :

١- مقدمة تقريرية في غالب الأحيان لا تضيف شيئا إلى الكتاب المقدم ، ويمكنها أن تكون تجارية وإشهارية فقط ، إنها مقدمة تتوخى أن توجه القارئ وأن تشرطه ، وأن تعطيه حكما مسبقا على قراءته .

٢- مقدمة نقدية تدخل في حوار مع الكتاب المقدم ، تطله لفائدتها الخاصة مع مسألته وعدم الاستسلام لما يقدمه ، ومن الضروري أن يكون هذا النقد متبها بالقدر الكافي الذي

(١) مدخل الى عتبات النص : ٤٨

(٢) مدخل الى عتبات النص : ٣٧

يتيح إبراز أصالة الكاتب ، وأن يكون متباعدة بما يكفي لكي لا يختلط صوته بصوت الكتاب .

٣- مقدمة موازية للنص ، وتكون مستقلة تماما عنه ، إنها إذا مقدمة جد غير مباشرة ، هذه المقدمة ، مع احتفاظها بحريتها ، يتحتم عليها أن توجه انتباهها للتييمات والأسئلة المطروحة ، فلا نص الكاتب يجب ان يُلحق بصاحب التقديم ، ولا المقدمة تعود إلى الكاتب ، فكل واحد منهما يعمل لحسابه الخاص))^(١)

والسؤال الذي يفرض نفسه : أين نضع مقدمات الناقد عز الدين إسماعيل لترجماته الثلاث ضمن هذه التصنيفات ؟

ما نراه أن مقدمات ناقدنا لم تكن مقدمات ذاتية خالصة أو غيرية خالصة ، وإنما هي مقدمات لكتب ترجمها ، ومن ثم فإن هذه المقدمات تكتسي لباسين في الوقت نفسه :

- مقدمات غيرية يكتبها الناقد عزالدين إسماعيل لدراسات ليست من مؤلفاته ، لاسيما ان هذه المقدمات تأخذ - في جانب من جوانبها - طابع الاستعراض التقديمي لهذه الدراسات .

- مقدمات ذاتية ، وذلك استنادا إلى أن الترجمة التي يقدمها المترجم إنما هي فعل ذاتي ، وأن المقدمة تطمح أن تقدم عرضا لهذا المجهود الذي قام به المترجم فضلا عن عرضه لمنهجه في هذه الترجمة وما يكتبه من قضايا تخص المؤلف الحقيقي ، وما تتضمنه الدراسة المترجمة أيضا من طروحات ، وهذا ما يجعلها تأخذ طابعا ذاتيا .

نتيجة لما سبق فإن مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته كانت مزيجا من المقدمات الغيرية / الذاتية ، وذلك لما اتممت به من صفات جعلت من هذه المقدمات تنبذ لنا في هذه الصورة ، فضلا عن الاستعراض التلخيصي والتعريف بالمؤلف والكتاب ، الذي قام به عزالدين إسماعيل والذي يتناسب مع خطاب المقدمات الغيرية ، فإنه قام - فضلا عن ذلك - في تقديم مدخل رَسَمَ من عبره خارطة للقضايا التي طرحها

(١) من تقديم د. عبد الكبير الخطيبي لكتاب الادب والغربة لعبد الفتاح كيليطو ، دار توبقال للنشر ،

الدار البيضاء ، المغرب ، ط : ٣ ، ٢٠٠٦ : ٧-٨

المؤلف الأصلي للكتاب محاولا الدخول في حوار مع قضايا الكتاب ومستعرضا في الوقت نفسه ما تم طرحه من إشكاليات نقدية وفكرية وفلسفية ومساءلتها ، في مسعى للمترجم في أن يكون له صوت مستقل في مقدمته بعيدا عن إملاءات المؤلف الحقيقي ، وهذا تحديدا ما نجده في مقدمات الكتّابين الأخيرين اللذين ترجمهما الناقد عزالدين إسماعيل .

* * *

ثانياً : البناء المقدّماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل :

تفاوتت طبيعة الخطاب المقدّماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل في ترجماته الثلاث ، ومن ثم اختلف شكل المقدمات وبنائها من مقدمة إلى أخرى ولاسيما في ترجمته الأولى التي صدرت في وقت سابق عن الترجمتين التاليتين لها ، وهذا الاختلاف راجع إلى طبيعة الزمن وموضوع الدراسة فضلا عن طبيعة المترجم نفسه الذي يخضع للسياقات الثقافية التي تجعله في تطور دائم وتبدل مستمر ، ولهذا جاءت المقدمات الثلاث متفاوتة .

١- تقع مقدمة الكتاب الأول (نظرية التلقي مقدمة نقدية) في ست عشرة صفحة - مثلما تقدم - وقد توزعت هذه الصفحات في ستة محاور ، تتناول المحور الأول تعريفاً بمؤلف الكتاب (روبرت هولب) ، ثم تعريفاً بنظرية التلقي في صورة بسيطة ، محاولاً المترجم أن يفرق بين نظرية التلقي في النقد الألماني ، ونقد استجابة القارئ في النقد الأمريكي ، ثم يعرض تفاصيل هذه الإشكالية كما عرضها المؤلف ، أما المحاور الثاني والثالث والرابع والخامس فيمضي ناقدنا المترجم بملخص استعراضي لما تناوله المؤلف من فصول كتابه دون الدخول في مناقشة القضايا المطروحة أو مساءلتها أو إضافة أي شيء لها ، محاولاً استعمال عبارات كمثل (يرى المؤلف .. يمضي المؤلف يبحث .. وقف المؤلف عند .. ثم ينتقل المؤلف .. ثم ينهي المؤلف .. ومن ثم يعمد مؤلف الكتاب إلخ) ، وهذا الاستعراض التلخيصي يذكرنا بما كان يقوم به الناقد عزالدين إسماعيل في مجلة فصول حين كان رئيساً لتحريرها منذ سنة ١٩٨٠ وحتى ١٩٩١ ، في افتتاحية كل عدد (أما قبل) حيث عُرف بملخصه الاستعراضي لبحوث المجلة ومقالاتها .

أما المحور السادس فإن المترجم خصصه في الكلام عن أهمية ترجمة هذا الكتاب الذي يعد المرجع المعتمد لكل من يُعنى بهذه النظرية في الفكر الألماني ، محاولاً الإشارة

إلى أهمية نظرية التلقي في نقدنا العربي وأن تراثنا انطوى على رؤى وأفكار تنتظم حول نشاط التلقي الأدبي أو الفني ، ليختم هذا المحور بالكلام عن الصعوبات التي قد تواجه القارئ في أثناء قراءته لهذه الترجمة منبها أن تلك الصعوبة لا ترجع إلى الترجمة فحسب وإنما إلى طبيعة الكتاب نفسه .

ومن الملاحظ التي يمكن أن نسجلها في بناء هذه المقدمة وشكلها ، أن المقدمة خلت تماما من أي إحالات إلى مصادر أو هوامش ، وهذا يؤكد الجانب التلخيصي للمقدمة ، فضلا عن ذلك وهو الأهم ان الناقد عزالدين إسماعيل لم يعنون مقدمته بـ(المقدمة) وإنما وضع عنوانا هو أقرب ما يكون إلى الخطاب التقديمي أو الاستعراضي للترجمة (هذا الكتاب) ، لاسيما ان العبارة التي كتبت في الأعلى والتي رافقت صفحات المقدمة كانت (نظرية التلقي) عنوان الكتاب المترجم نفسه ، إلا أننا فاجأ في الفقرة الأخيرة من المحور السادس من المقدمة بقوله : ((وربما ساعد المخطط العام لحركة الفكر في الكتاب كما عرضته هذه المقدمة على جعل القارئ مطمئنا ...))^(١) ، وفي هذا دلالة على إقرار المترجم بأن ما قام به هو إنما يصنف ضمن عمل المقدمات .

٢- أما الكتاب الثاني المترجم (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) لمؤلفه جوناثان كلر ، فقد جاءت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل له في ست وأربعين صفحة ، موزعة على خمسة وعشرين محورا وخاتمة ، تتاول المحور الأول تعريفا بالمؤلف وبإصداراته المؤلفة وتصحيحا لعنوان الكتاب - وهذا ما سنتناوله في الوظيفة المقدماتية فيما بعد - ، فضلا عن ذلك أشار إلى سبب اختيار ترجمته لمادة الكتاب منوها أن الكتاب قد صدر بعدة طبعات وأن المترجم اختار الطبعة الأخيرة (المراجعة) من المؤلف الأصلي للكتاب ، أما المحاور الأخر والبالغ عددها أربعة وعشرون فقد كانت عرضا تلخيصيا لمادة الكتاب ، إلا أننا نلاحظ أن الناقد المترجم عزالدين إسماعيل في مقدمة هذا الكتاب لم يكتف بعرضه التلخيصي فقط لمادة هذا الكتاب مثلما سار في الكتاب السابق مكتفيا بـ(قال المؤلف ، ورأى المؤلف ، ويشير

(١) مقدمة كتاب نظرية التلقي مقدمة نقدية ، روبرت هولب ، ترجمة : د. عزالدين إسماعيل ، النادي

الادبي الثقافي ، جدة ، ط : ١ ، ١٩٩٤ : ٢٤

المؤلف ، عرض المؤلف ألخ) ، وإنما حاول أن يتدخل في عرضه للمادة النقدية ناقداً وقارئاً ، مؤيداً ومعارضاً ، مضيفاً ومرجحاً ، وقد جاءت تدخلات الناقد في قراءته النقدية في هذه المقدمة عبر لغته وعباراته التي تتسم بطابع القراءة المبنية على النقد والمراجعة والمساءلة النقدية .

أما المحور الأخير لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل التي كانت بدون ترقيم فقد أشار إلى ضرورة هذه المقدمة وأنها جاءت مكتملة لقراءة الكتاب ، وبذلك يتضح لنا الإطار البنائي لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لكتاب (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) التي جاءت مختلفة عن مقدمته السابقة ، محاولاً أن يعطي لهذه المقدمة شكل مراجعة نقدية لا تكتفي فقط بالاستعراض التلخيصي وإنما تسعى نحو الحوار والمساءلة.

وقبل أن ننقل لمقدمة الكتاب الثالث فإن من الضروري الإشارة إلى أن الناقد عزالدين إسماعيل سعى إلى أن يعطي لمقدمته هذه (اسم مقدمة) وهو ما لم نلاحظه في مقدمته السابقة ، إذ نجد عنوان مقدمته جاء بـ(مقدمة المترجم) ، فضلاً عن ذلك نقرأ عباراته التي تقر بأن ما يكتبه لا يخرج عن كونه مقدمة لهذه الترجمة كمثل (في مقدمتنا هذه ، من حق القارئ أن يقرأ هذه المقدمة)

٣- تأتي ترجمة الناقد عزالدين إسماعيل لكتاب (مقدمة في نظريات الخطاب) لمؤلفته ديان مكديويل امتداداً لترجمته للكتابين السابقين ، فقد جاءت هذه المقدمة في تسع وخمسين صفحة ، إلا أنها خلت من الفقرات المرقمة ، حيث أنه بنى مقدمته على أربعة محاور .

المحور الأول : وقد سماه (التمهيد) وقد جاء في صفتين اثنتين ، فقد أشار إلى مقدمتيه السابقتين لهذا الكتاب المتمثلة في مقدمته لترجمة كتاب (نظرية التلقي) ومقدمة كتاب (فرديناند دوسوسير) ، حيث تحدث عن الأسباب التي جعلته يكتب هاتين المقدمتين (إلضافيتين) كما سماها للترجمتين السابقتين .

المحور الثاني : اختص هذا المحور في استعراض تلخيصي لمادة الكتاب موزعة على فقرات عدة في ثماني عشرة صفحة ، متبعاً ناقدنا المترجم الأسلوب نفسه الذي جاء في المقدمتين السابقتين من تلخيص لفصول الكتاب وعرضه ، مستخدماً العبارات نفسها (في

مقدمة المؤلفة لكتابتها ... ، كما تقول المؤلفة ... ، وهنا تقرر المؤلفة (إلخ) ، وهذا الاستعراض التلخيصي في المحور الثاني لا يعني أن المترجم ابتعد عن التدخل في عرضه لمتن الكتاب ، بل سعى أحيانا إلى تأييد المؤلفة في بعض الطروحات ، وأحيانا أخرى في توضيح يحتاجه القارئ حتى لا يبتعد عما تريده المؤلفة ، فضلا عن ذلك فإنه يحاول - في اثناء عرضه التلخيصي - أن يرجئ الخوض في تفاصيل متعلقة ببعض القضايا التي تطرحها المؤلفة إلى المحور الثالث ، بل إن الناقد في بعض الفقرات لا ينتظر أن يرجئ حديثه عن بعض القضايا المتعلقة للمحور الثالث بل يسارع ليضيف أو يناقش أو يساءل المؤلفة .

المحور الثالث : هذا المحور هو في حقيقته دراسة نقدية وعرض استقصائي لمصطلح الخطاب ونظريته ، في جانب مستقل عما طرحته مؤلفة الكتاب ، وفي سعي من الناقد عزالدين إسماعيل إلى رسم صورة متكاملة لمصطلح الخطاب ونظريته ، كملا لما تقدمت به المؤلفة ومتمما لطروحاتها التي عرضها الناقد في تلخيصه ، فقد جاء هذا المحور في خمس وثلاثين صفحة تناول الناقد المترجم عدة قضايا ذات صلة بمصطلح الخطاب ونظريته ، وهي كالاتي : مصطلح الخطاب والنقاد الجدد ، الألسنية والخطاب ، الخطاب والبلاغة ، تاريخية الخطاب والإرشيف الحضاري ، إنتاج الخطاب وتشكيل الذات ، النظم والقواعد المتعلقة بالخطاب ، الخطاب والمعرفة والقوة .

المحور الرابع : وهو الفقرة الأخيرة من مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل ، وهذا المحور ليس فيه إضافة للمقدمة ، بقدر ما هو تسويغ من الناقد المترجم لإطالته في هذه المقدمة ، إذ يعتذر للقارئ هذه الإطالة ، ويقدم مسوغاته ، وهو ما يدخل في وظيفة المقدمة .

بقيت مسألة تتعلق بالبناء المقدماتي لهذا الكتاب ، وهي أن مصطلح (المقدمة) لم يكن ثابتا فيها ، إذ تراوح بين مصطلح (التقديم) ومصطلح (المقدمة) ، فالعنوان الرئيس للمقدمة في بداية الكتاب وكما ورد أيضا في الفهرسة كان (تقديم بقلم المترجم) ، أما في الفقرة الأخيرة من مقدمته فقد قال : (وبعد ، فربما طالت هذه المقدمة بعض الشيء) ، وعلى الرغم من أن أكثر الدارسين لم يفرقوا بين المصطلحين ، إلا أن هناك من يفرق بينهما ، فالمقدمة تختلف بعض الشيء عن التقديم ، في أن المقدمة ((هي تلك التي يكتبها الكاتب نفسه للتعريف بعمله ، وشرح الظروف التي عايشها في أثناء الكتابة ،

وبيان ما هدف إليه من وراء ما كتب ، وربما يُنصب نفسه ناقداً ، فيستطرد في التفسير والحكم على تميز عمله وتقديره ، أما التقديم فهو ما يكتبه كاتب آخر وغالباً ما يكون ناقداً مشهوراً ، فيقف من العمل محللاً وشارحاً ، وغالباً مركزاً على ميزات النص الإيجابية ، وملامساً برفق ما فيه من عيوب وإخفاقات))^(١) ، وهذا ما جعل الناقد عزالدين إسماعيل يتناوب بين مفردتي المقدمة والتقديم ، فمثلما سبق - حين تناولنا مقدمات عزالدين إسماعيل وتأرجحها بين الذاتية والغيرية في كتبه الثلاثة التي ترجمها (تكتسي لباسين في الوقت نفسه) فهي مقدمات ذاتية كتبها الناقد لترجمته التي تعد عملاً خالصاً له ، وهي في الوقت نفسه مقدمات غيرية قدم فيها جهود الذين ترجم لهم ، وهذا ما يجعل المقدمات تحمل المعنيين : التقديم والمقدمة ، ولا سيما في المقدمتين الثانية والثالثة .

* * *

ثالثاً : الوظيفة المقدّماتية عند الناقد عزالدين إسماعيل

يُعدّ الاشتغال في الوظيفة المقدّماتية أبرز ما تناوله الباحثون في هذا المجال ، فد))أهم ما ينبغي الحديث عنه بخصوص المقدمات هو الوظائف التي تقوم بها بالنسبة إلى الأعمال التي هي ممهدة لها))^(٢) ، ذلك أن الخطاب المقدّماتي ينطوي على غايات يسعى المؤلف للوصول إليها ، وهذا ما تبرزه الوظائف الموكولة للمقدمات ، فهي تختلف من كاتب إلى كاتب ومن مؤلف إلى آخر ، فوظائف المقدمات تختلف ((باختلاف طبيعة كل مقدمة ، كما تكون محكومة باعتبارات مكانية وزمانية وبطبيعة المرسل ، فإذا كان المرسل صاحب النص ، فإن وظيفة مقدمته ستركز على تقديم قراءة تأويلية من جهته ، ، وإذا كان غير صاحب النص ، فإنها ستكون بمثابة مشروع لتأويل نقدي غيري ، في ضمان قراءة حسنة للنص ، إنه إمساك بيد القارئ وتوجيهه نحو معرفة لماذا

(١) المقدمة والتقديم للأعمال الإبداعية ، د. محمد عبدالله القواسمة ، صحيفة الدستور الاردنية ، الجمعة

٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ ، ٢٧ كانون الثاني ٢٠١٧ م ، ع : ١٧٧٨٦ : صفحة الثقافة .

(٢) عتبات النص الادبي بحث نظري ، حميد لحداني ، مجلة علامات ، ج : ٤٦ ، م ١٢ ، شوال

١٤٢٣ هـ ، ديسمبر ٢٠٠٢ : ٤٣

وكيف ينبغي له قراءة النص ، فالمقدمة اذن تمنح للقارئ منهج قراءة المؤلف^(١) ، كما تمنحه رؤية أعمق لدلالات النص ومقاصده الخفية والمعلنة .

وقد ذهب الناقد الفرنسي هنري ميتران إلى أن ((كل خطاب مقدماتي يتكون من مثلث تتقاسمه ثلاثة ضمائر :

أ- ضمير المتكلم المفرد (أنا) يعود على المتكلم في المقدمة ، الذي يمكن أن يكون كاتب النص نفسه أو شخصا آخر يقدمه .

ب- ضمير المخاطب المفرد (أنت) يعود على المخاطب في المقدمة ، أي جمهورها الخاص .

ج- ضمير الغائب المفرد (هو) يعود على النص ، حيث أن كل مقدمة تتحدث عن نصها وتقدمه باعتباره نصا نموذجيا^(٢) ، وبذلك تكون الوظيفة التي تضطلع بها المقدمة مبنية على المثلث التواصلي : النص والمؤلف والقارئ ، لتجتمع هذه العناصر في توجيه النص الوجهة التي يريدها المؤلف/ المترجم لضمان فهم صحيح مبني على تشابك هذا المثلث : النص بمراجعتة وإعادة قراءته والوقوف على بعض القضايا التي تثير إشكالات وتساؤلات ، والمؤلف بما يدعو إلى حوار أو نقده أو الدفاع عنه ، والقارئ بما تمنحه المقدمة استقطابا تجعله أقرب إلى نص المتن ، وفهما يجعله أكثر استيعابا وإداركا لمقاصد المؤلف.

١- المقدمة وقراءة النص :

تكمن أهمية الخطاب التقديمي في كونه يحقق خطوتين مطلوبتين تماما لكل عمل : الأولى أن تحاور النص ، وبذلك تكون قد أعدت إنتاجه ، والثانية وهي أن تحاور رأيا في هذا النص وأن تشتبك معه^(٣) ، لذلك سعى الناقد عزالدين إسماعيل إلى إعادة قراءة متن الترجمة عبر مقدمته ، بغية رسم تصور أولي لمضمون المتن المترجم ، ولإعادة ترتيب بعض المسائل والمفاهيم التي طرحها النص بما يتلاءم مع القضايا التي عالجها مؤلف

(١) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص : ١٤٥

(٢) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : ٧٧-٧٨

(٣) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكّل والوظائف الفنية) ، د. عبد الملك شهبون ، مجلة

عالم الفكر ، ع : ٢ ، مج : ٣٥ ، أكتوبر - ديسمبر ، ٢٠٠٤ : ٩٤

المتن/ النص في سياقها المعرفي ، محاولاً رصد مختلف التصورات التي قدمها النص المترجم ساعياً إلى تقديم إضاءة لطبيعة الموضوعات ، واستخلاص التعالقات بين مكونات النص التي من شأنها إقامة صورة شمولية لسياق المفاهيم المتداولة .

وكما يرى جبرار جنيت أن إحدى وظائف المقدمات الرئيسية ((ضمان القراءة الجيدة للنص))^(١) ، لذا فإن الوظائف الموكولة لمقدمة أي كتاب على كثرتها وتنوعها ، تلتقي جميعها بحكم طبيعة موقعها ونوعية مستهدفها عند مسؤولية حماية دلالة النص ، تجنباً لما قد يتعرض له من تأويلات مغرضة أو خاطئة من وجهة نظر صاحبه^(٢) ، تبعاً لهذا فإن الناقد عزالدين إسماعيل سعى إلى تقديم ما يعطي قراءة صحيحة لمتنه المترجم عبر التركيز على بعض القضايا التي تجعل من قراءة الترجمة تسير في الاتجاه الصحيح وإعطاء تصور سليم ، بعيداً عن أي انحراف في التصور أو تأويل خاطئ في القراءة ، محاولاً الوقوف عند قضايا (العنونة) وإشكالية (المصطلح) ، فضلاً عن المداخلات والإضافات والتعليقات التي من شأنها (حماية دلالة الترجمة) عن أي تفسير بعيد عن مضمون المتن .

تصحيح العنوان : يعد العنوان عتبة أساسية في كل عمل نقدي أو إبداعي بما يشكله من عنصر أساسي في توضيح دلالات النص ، ومن هنا فإن علاقة العنوان بالمقدمة تبرز عبر اشتراكهما في جوانب كثيرة منها أنهما ينتميان معاً من حيث الموقع لصنف العتبات القريبة من النص ، في مقابل العتبات الأخرى البعيدة عنه كالتصريحات والاستجابات^(٣) ، لهذا كله كانت أولى الوظائف البارزة في مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل في ترجماته هو فض إشكالية العنوان ، وقد جعل جبرار جنيت معالجة إشكالية العنوان من إحدى وظائف المقدمات ، إذ رأى أن التعليقات التي تظال العنوان راجعة إلى ثلاثة أسباب ، إما يكون : ((دفاعاً عن الانتقادات الموجهة للعنوان والكتاب عامة ، وإما

(١) عتبات (جبرار جنيت من النص الى المناص) : ١١٨

(٢) العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية : ١٥٩

(٣) المصدر نفسه : ١٥٥

تبريرا للتغيير الذي حدث للعنوان ... ، وإما تصحيحا للعنوان حرصا من عدم الوقوع في الآراء المغرضة^(١) ، وهذا ما عالجه الناقد في تصحيحه لعنوان أحد ترجماته .

ففي مقدمة ترجمة كتاب (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) أشار الناقد عزالدين إسماعيل إلى أن عنوان الكتاب الأصلي لا يتوافق مع مضمونه ، ولهذا لجأ إلى التعديل في العنوان ((على الرغم من أن الكتاب يحمل اسم (فرديناند دي سوسير) عنوانا له ، بما يوحي أنه سيرة خاصة لهذا الرجل ، تتوازن فيها قصة حياته مع أعماله ومنجزاته من حيث الأهمية ، فإن الواقع العلمي يعلن شيئا خلاف هذا ، على نحو يوحي بأن هذا العنوان أحرى أن يظلم مضمون الكتاب من أن يدل عليه دلالة حقيقية ، ذلك بأن سيرة حياة سوسير الخاصة لم تشغل من الكتاب إلا حيزا محدودا للغاية ، نظرا لأن هذه السيرة كانت عادية وبسيطة وليس فيها مواقف أو أحداث درامية لها خطرها ، أما سائر الكتاب (إن لم نضم إليه جزءا مما ورد في السيرة كذلك) فقد خصص لنشاط سوسير العلمي ، وعلى وجه الخصوص في ميداني علم اللغة الحديث والسيميوطيقا ، على نحو ما اشتملت عليهما محاضراته التي جُمعت وطُبعت في كتاب بعد وفاته ، ولهذا السبب آثرنا أن نضيف إلى عنوان الكتاب في هذه الترجمة عنوانا جانبيا يبرز المضمون الحقيقي للكتاب^(٢) ، ولهذا كان عنوان الكتاب بعد التعديل (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، الأمر الذي جعل من الناقد المترجم ينبه لهذه المسألة الخطيرة في مقدمته خوفا من أن يوحي العنوان بمضمون آخر غير مضمونه الحقيقي .

تلخيص النص : يعدُّ التلخيص قراءة استعراضية مختصرة للنص الأصلي يعتمد قانون اقتصاد الجهد أو أقل الجهد ، وهو الحل العملي إزاء التراكم المعرفي ، وقد عُرف التلخيص (Abridgment) بأنه تحويل نص مكتوب إلى شكل مختصر تم خلاله التكتيف والحذف مع الحفاظ على المعنى العام ، وعلى طريقة العرض المستخدمة في

(١) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : ١٢٢

(٢) فرديناند دي سوسير (اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، جوناثان كلر ، ترجمة : د. عزالدين

إسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، مصر ، ط : ١ ، ٢٠٠٠ : ٧

الأصل^(١) ، وهذه الوظيفة من شأنها أن تعطي تصورا شاملا للنص المترجم لكن لا تستطيع النفاذ إلى أعماقه ، بل تكتفي باستعراض يرسم الخطوط العامة لمجمل القضايا المطروحة ، ولهذا فإن الناقد عزالدين إسماعيل حرص على أن يقدم في كل كتاب من الكتب الثلاثة التي ترجمها عرضا تلخيصيا ، ففي مقدمته لـ(نظرية التلقي) اكتفى بتلخيصه للكتاب ، أما (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) فإن عرضه للكتاب لم يكن عرضا تلخيصيا فحسب وإنما صاحبه حوار وإضافات ، في حين كانت مقدمته للكتاب الثالث والأخير تلخيصا ودراسة ، وقد عرضنا مادة الناقد التلخيصية - بشكل مفصل - في محور البناء المقدّماتي .

فض إشكالية المصطلح : حظيت قضية المصطلح وإشكاليته في المنظومة المعرفية بأهمية كبيرة ، إذ إن المصطلح يكون مؤسسا لكثير من النظريات المعرفية ، وموجها لمنظومة المفاهيم التي يكون لها الأثر الكبير في القراءة المنتجة للنصوص النقدية .

وقضية (المصطلح) وإشكاليته من المسائل التي أفرد الناقد حيزا كبيرا في مقدماته ، إذ إن عنوانات الكتب التي ترجمها قائمة على ثلاثة مصطلحات هي التلقي ، وعلم العلامات/السيميوطيقا ، والخطاب ، ففي مقدمة كتاب (نظرية التلقي) حاول الناقد أن يفض إشكالية هذا المصطلح مع ما يتداخل فيه من مصطلحات أخرى ، فقد أشار إلى أن ((المقصود بالتلقي هنا هو تلقي الأدب ، أي العملية المقابلة لإبداعه أو إنشائه أو كتابته ، وعندئذ قد يختلط مفهوم التلقي ومفهوم الفاعلية التي يحدثها العمل ، وإن كان الفرق بينهما كبيرا ، حيث يرتبط التلقي بالقارئ ، والفاعلية بالعمل نفسه ، ومن هنا يختلف تاريخ التلقي عن تاريخ الفاعلية ، كما تختلف جماليات التلقي عن جماليات التأثير ، ونظرية التلقي - كما يعرضها المؤلف - تشير إجمالا إلى ذلك التحول في الإهتمام إلى النص والقارئ^(٢))) ، وتبعا لهذه الإشكالية بين المصطلحين فإن الناقد يسعى للفرقة بين نظريتين تتعلقان بالمصطلح وهما نظرية التلقي ونظرية استجابة القارئ إذ يقرر أنه ((ينبغي التفرقة بين نظرية التلقي ، التي راجت في النقد الألماني ، والنقد المتعلق بالقارئ/الاستجابة ،

(١) عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي : ١٣٠-١٣١

(٢) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٩

الذي راج في أمريكا وفي غيرها ، فنظرية التلقي هي ثمرة جهد جماعي كان صدى للتطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية في ألمانيا الغربية خلال الستينيات المتأخرة ، في حين كان النقاد المتجهون إلى القارئ/الاستجابة أحادا مفرقين لا رابط بينهم ، بل تتباين نظرياتهم وتختلف مناهجهم وفقا لاختلاف اسلافهم ، هذا فضلا عن أن أصحاب النظريتين لم يحدث بينهم اتصال أو تواصل علمي فعّال^(١) ، ومن هنا رأينا أن الناقد قد انتقل من فض إشكالية المصطلح إلى الدخول في النظريتين اللتين انتجتا هذين المصطلحين .

ومما يتصل بقضية المصطلح وإشكاليته إشارة الناقد في مقدمة ترجمته لكتاب جوناثان كلر إلى مصطلحات مترادفة هي (السيمولوجيا) و(السيماتولوجيا) و(السيميوطيقا) ، فمن خلال حديث الناقد عن المؤلف (جوناثان كلر) الذي ذهب إلى استخدام مصطلح (السيميوطيقا) ، رأى عزالدين إسماعيل ((أن سوسير نفسه قد أطلق على هذا العلم اسم (السيمولوجيا Semiology) ، في حين أطلق عليه بولر Buhler اسم (السيماتولوجيا) ولم يكتب لمصطلح بولر لإنتشار ، أما مصطلح السيمولوجيا فقد راج في أوروبا ، في الوقت الذي راج فيه مصطلح السيميوطيقا في أمريكا ، وفي زمننا الراهن كان مصطلح السيميوطيقا هو الأشيع بصفة عامة ، هل يقول المصطلحان شيئا واحد أو الشيء نفسه ؟ هذا ما يغلب على اعتقاد كثيرين ، وهو على نحو ما اعتقاد صحيح ، ومع ذلك فإن المنشأ المختلف لهما جعل بينهما بعض إختلاف ، وإن كان ذلك على مستوى الإجراء والمنهج وليس على مستوى الدلالة^(٢) ، وهذا الإختلاف في اللفظ إن كان يتبعه إختلاف في الإجراء والمنهج فإنه لا يعني إختلافا في الدلالة وهو ما رآه الناقد المترجم .

ويحتل مصطلح (الخطاب) حيزا كبيرا في خطاب الناقد المقدماتي ، إذ أفرد له محورا كاملا من ست وثلاثين صفحة في مقدمة ترجمته للكتاب الثالث الذي ترجمه (مقدمة في نظريات الخطاب) ، محاولا تفكيك هذا المصطلح عبر مستويات كثيرة ، تمهيدا للدخول

(١) المصدر نفسه : ٩

(٢) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٩ - ١٠

إلى مضمون المتن الأصلي ، وهو ما أشار إليه الناقد عزالدين إسماعيل بأن ما سيقدمه من تفصيل لمصطلح الخطاب إنما ((يهيئ مساحة أوسع من إلامام بقضايا الخطاب ومشكلاته))^(١) ، وهذا ما يجعلنا ننظر إلى مقدمة الناقد لهذا الكتاب - ولاسيما في المحور الثالث لمقدمته التي خصصها لمصطلح الخطاب - على انها دراسة نقدية وعرض استقصائي لمصطلح الخطاب ونظرياته ، مكمّلا لما كتبه المؤلف ، ومتمما لطروحاتها التي عرضها الناقد في تلخيصه.

وقد تناول الناقد المترجم في مقدمته عدة قضايا ذات صلة بمصطلح الخطاب ونظريته ، منها : مصطلح الخطاب والنقاد الجدد ، الألسنية والخطاب ، الخطاب والبلاغة ، تاريخية الخطاب والأرشيف الحضاري ، إنتاج الخطاب وتشكيل الذات ، النظم والقواعد المتعلقة بالخطاب ، الخطاب والمعرفة والقوة ، محاولا الناقد عزالدين إسماعيل - ضمن هذه الفقرات - ملاحقة مصطلح الخطاب مفهوما ودلالة في الفكر الغربي والفلسفة الغربية ، مشيرا من بعيد إلى مفهومه في التراث العربي ، إذ سعى إلى إجراء مسح استقصائي لمفردة الخطاب تأصيلا وتحديثا ، مركزا جهده في متابعته لهذا المصطلح في العقود الأخيرة من القرن العشرين وما لحقه من تطور بسبب ما شهدته الفكر العالمي من تغيرات وتطورات في الأسس المنهجية وفي الشروط المؤطرة للمصطلح ، مبتدئا عند مدرسة النقاد الجدد ، ومن ثم جهود البنيويين في الألسنية وفي حقل التحليل اللغوي للخطاب ، لينتقل بعدها إلى مرحلة ما بعد البنيوية وارتباط أشكال الخطاب المختلفة بالبلاغة وما سمي بالممارسات الخطابية ، لينهي مقدمته عند مصطلحي القوة والمعرفة وارتباطهما بمفهوم الخطاب^(٢) ، مستعينا في كل ما طرحه في هذا المحور بمصادر ومراجع كثيرة وعبر طروحات مفكرين وفلاسفة ، إذ بلغت الاحالات (سنة وستين) هامشا ، بأن يعطي انطبعا بان ما كتبه الناقد عزالدين إسماعيل ليست مقدمة عادية - ولاسيما في هذا المحور - بقدر ما كان دراسة مستقصية ومستقيضة لمصطلح الخطاب بأبعاده المفهومية

(١) مقدمة في نظريات الخطاب ، ديان مكدونيل ، ترجمة وتقديم : د. عزالدين إسماعيل ، المكتبة

الاكاديمية ، القاهرة ، مصر ، ط : ١ ، ٢٠٠١ : ٢٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٧ - ٤٣ ، ٥٨ - ٦٣

والدلالية وعبر مروره بالتيارات والاتجاهات النقدية والفلسفية وصولاً إلى لحظة صدور المؤلف الذي ترجمه .

الإضافات والمداخلات : يكتسب الخطاب المقدماتي قضاياها الخاصة من جملة المفاهيم والإشكالات التي يعرضها صاحب المقدمة في تناوله وتحليله ، فيصبح نص المقدمة متعلقاً مع النص المؤلف ، وحاملاً من القرائن الموجهة للقراءة ، والمساعدة على الفهم والاستيعاب^(١) ، وساعياً إلى إعادة قراءة بعض القضايا بما يتسق ورؤية الكاتب للنص ، عبر إضافات ومداخلات تسعى إلى قراءة سليمة لمنن الكتاب .

وإذا كانت مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل للكاتبين الأول والثالث قد خلتا من الإضافات والمداخلات والتعليقات ، لكون المقدمة الأولى كانت استعراضاً تلخيصياً ، ولكون الثالثة قد أفرد فيها محورا خاصا لدراسة مصطلح الخطاب ، فإن المقدمة الثانية كانت أقرب للحوار مع متن الكتاب مداخلة ومساءلة ، حواراً وتعليقاً ، مستعينا في هذا كله بإضافات التي اعتمد فيها مرجعيات عدة .

وقد جاءت أغلب هذه الإضافات والمداخلات لتؤدي وظيفة ما يسميه جيرار جنيت بـ(التصريح بالقصد) إذ أكد انها من بين الوظائف المهمة للمقدمات التي تقدم تأويلاً للنص من طرف الكاتب وفيه يعلن عن قصده ، كأن يقول (هذا ما أريد فعله/قصده في الكتاب)^(٢) ، وقد اتخذت هذه الوظيفة أشكالاً وصوراً عدة ، فمرة تكون مباشرة مستعينا بلفظة (الإضافة) معضداً إياها باستشهادات لنقاد عالميين ، ومثال ذلك : ((وهنا في وسعنا أن نضيف أنه من المسلم به على مستوى العالم أن سوسير يعد أباً للحركة البنوية وهنا يستعين هارلاندي على شرح الفكرة بالرجوع إلى لعبة الشطرنج أيضاً التي عول عليها سوسير))^(٣) ، وأحياناً تأتي الإضافة في شكل مداخلة مستعينا بقول لرينيه

(١) عتبات النص البنوية والدلالة : ٤٣

(٢) عتبات (جيرار جنيت من النص الى المناص) : ١٢٣

(٣) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، وينظر في

استشهادات المترجم في مقدمته بالناقد ريتشاردز هارلاندي : ١٧ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٨ .

ويك (وهنا يحق لنا أن نذكر أيضا امتداد تأثير تلك التفرقة بين اللسان والكلام إلى مجال التفكير في الأدب))^(١) ، فضلا عن استعانته بنصوص كثيرة لنقاد آخرين . وفي بعض الحالات ترد إضافة على شكل استئناف ((ويمكننا هنا استئناف مناقشة هذه القضية الجوهرية على نحو ما شرحها سوسير نفسه ، ولنبدأ بما يقرره سوسير بصفة مبدئية))^(٢) ، وقد تأتي أحيانا في إضافة شكل مخطط ، كمثل ما قدمه من مخطط المحورين الاستبدالي والسياقي مستشهدا بأمثلة عربية ، ولا سيما أن الاستشهاد بأمثلة من سياق اللغة العربية في التحليل والتعليق ورد أكثر من مرة عند الناقد عزالدين إسماعيل في مقدمته ، ((يشير المؤلف إلى حالات العلامات التي تقوم على أساس المحاكاة الصوتية (مثل كلمة هدهد أو كلمة ثرثر ، أو كلمة قطم الخ) إذا أردنا مثلا من اللسان العربي))^(٣) ، ونرى أن هذه الإضافات قصد من خلالها الناقد وضع الكتاب في سياقه المعرفي العام ، إذ إن من بين وظائف المقدمات ما يسميه جبرار جنيت مؤشر السياق ، حيث ان الكتاب يعد جزءا من مجموعة كتب لا بد أن تفهم في سياقها العام ، ولهذا السبب يضع الكاتب تنبيهات تؤشر على السياق ، فالمقدمة تغدو على هذا النحو ذو وظيفة سياقية وتبئية للمتن^(٤) ، وهذا كله خاضع لسياق الترجمة التي ينقل عبرها الناقد نصا من لغة إلى لغة فيسعى إلى تقريب قسم من التصورات فيأتي بما يتماشى وسياق اللغة المنقول إليها النص .

٢- المقدمة ومؤلف النص :

اتخذت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل في نقده للمؤلف أشكالا وصورا متعددة ، منها التعريف بالمؤلف ، ومنها أيضا التقريظ ، والتبرير والدفاع ، ومنها كذلك الاعتراض والرد ، وسنمثل لهذا في الفقرات الآتية .

-
- (١) المصدر نفسه : ٢١ وقد استشهد المترجم في اضافاته بعدد من النقاد العالميين منهم : لارين : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ناعوم تشومسكي : ٣٤ ، موكاروفسكي : ٤٠ ، رمان سلدن : ٤٢ ،
 (٢) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٢٩ ، وينظر : ٥٠ ، ٥١
 (٣) ينظر المصدر نفسه : ٢٦ ، ١٥ ، وينظر : ١٨-١٩
 (٤) عتبات (جبرار جنيت من النص الى المناص) : ١٢٣

التعريف بالمؤلف : حرص الناقد المترجم أن يعرف بالمؤلف في بداية مقدمته ، ففي كتاب (نظرية التلقي) يبدأ المقدمة بقوله ((مؤلف هذا الكتاب ، روبرت هولب Robert Holub أستاذ مساعد بالقسم الألماني بجامعة كاليفورنيا في بركلي ، ومن هنا كانت صلته القوية بالفكر والنقد والأوضاع العامة في ألمانيا ، وكان هذا ما هيأه لإن يؤلف هذا الكتاب عن نظرية التلقي ، التي تعد ألمانية في أصولها وفي نشأتها))^(١) ، فالناقد وعبر تعريفه بالمؤلف يسعى إلى أن يربط اشتغاله الأكاديمي بمجال موضوع الكتاب المؤلف ، لاسيما ان المؤلف أمريكي والنظرية ألمانية ، ومن هنا وجب على الناقد أن ينبه على اشتغال المؤلف في هذا المجال الذي خاضه بأنه متأث من تخصصه الأكاديمي .

أما في مقدمته لكتاب (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، فإن الناقد أشار إلى أهمية المؤلف ودوره البارز في الاشتغال بمجال علم العلامات عبر الكتاب الذي ترجمه الناقد وعبر كتب اخرى ((مؤلف هذا الكتاب جوناثان كلر ، واحد من المع المشتغلين في زمننا هذا بالمنطقة المشتركة بين اللغة والأدب ، وعلى وجه الخصوص بما يسمى علم العلامات (السيميوطيقا Semiotics) ، وكتابه الشامل الموحى المسمى (اقتفاء اثر العلامات The Pursuit Signs) ، دليل واضح على هذا الإهتمام ، ولأن عالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسير يعزى إليه التبشير بهذا العلم ، وتحديد آفاقه المبدئية ، فقد انصرفت عناية كلر إلى جهود هذا العالم وإضافاته الحاسمة في المجالين اللغوي والسيميوطريقي على السواء ، ومن هنا كان هذا الكتاب))^(٢) ، ولم يكتف الناقد في الإشارة إلى أهمية المؤلف واشتغاله بمجال علم العلامات وإنما أكد على أن تأليفه في مضمون الكتاب المتعلق بدي سوسير إنما يأتي من أن سوسير كان أول من ألمح إلى هذا العلم ووضع خطواته المبدئية التي فتحت الآفاق للدارسين من بعده .

(١) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٩

(٢) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٧

في حين أننا لا نجد اي تعريف - ولا تلميح - إلى مؤلفة الكتاب الثالث الذي ترجمه الناقد عزالدين إسماعيل (مقدمة في نظريات الخطاب) وهي ديان مكدونيل ، ولا نعثر على اي مسوغ جعل الناقد يهمل التعريف بهذه المؤلفة .

التقريظ والثناء : أما حديث الناقد عن جهود المؤلف تقريظا ومدحا ، فإنه اتخذ أشكالا وصورا عدة ، منها الإشادة بموضوع الكتاب ((ولا شك في أن وصف تفكير سوسير نفسه تكون له حقا أهمية أولى في كتاب يؤلف عنه))^(١) ، ومنها تقريظ الناقد لجهود المؤلف ، وعادة ما يرد في خاتمة مقدماته ، كمثل خاتمة مقدمته لكتاب (نظرية التلقي) التي كانت بمثابة تتمين لجهود المؤلف ، إذ يقول : ((وإذا كان المؤلف هنا قد وُفق في صياغة هذه النظرية كما تمثلت في الفكر النقدي الألماني المعاصر بروافده المختلفة ، فإن النظرية نفسها تظل - في تصوري - قابلة للصياغة وإعادة الصياغة من منظورات فكرية وثقافية مختلفة))^(٢) ، وإشارة الناقد إلى قابلية النظرية وانفتاحها على منظورات مختلفة هو في الحقيقة إعلاء من قدر المؤلف وجهوده في محاولة استيعاب نظرية متشعبة ومتمددة فكريا وثقافيا ، وهذا نفسه ما ختم به مقدمته للكتاب الثاني ، إذ قال في نهاية الخاتمة : ((وقبل أن ننهي هذه المقدمة يحق لنا أن نقدر الجهد الذي بذله المؤلف فيما عرضه من حياة سوسير وعلمه واسهامه في تغيير توجهنا الفكري ، لا في ميدان الدراسات اللغوية فحسب ، ولا في ميدان السيميوطيقا فحسب ، بل في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية كذلك))^(٣) ، فضلا عن ذلك فقد تأتي عبارات الثناء والمدح أحيانا بصورة عابرة في ثنايا عرضه لمادة الكتاب ، الموضوع ما يعبر عن حالة القبول والرضا لما قدمه المؤلف ، كمثل قوله ((.... عرضها المؤلف عرضا وافيا ومقنعا))^(٤) ، وقوله : ((وقد رأى المؤلف - وهو على حق - ضرورة النظر في بعض الأمور))^(٥) ، وهذه الصور تعطي انطبعا بأن الناقد يسعى إلى إضفاء الشرعية على نصوص المؤلف التي تصل أحيانا

(١) المصدر نفسه : ٨

(٢) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٢٣

(٣) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٥٠

(٤) المصدر نفسه : ١٦

(٥) المصدر نفسه : ٣٢

إلى نبرة الدفاع ومصادرة ما قد يتعرض له المؤلف من انتقادات وهو ما كان في هذه المقدمات .

فإذا كان من وظيفة المقدمات أحيانا ((مصادرة الانتقادات التي قد تمس الكتاب وبذلك تتحول إلى خطاب دفاعي حجاجي))^(١) ، فإننا نجد الناقد/المترجم يسعى إلى الدفاع عن المؤلف ومحاولة إعطاء المسوغات كمثل قوله : ((ومع أن المؤلف قد حقق الإطّار البحثي الذي رسم حدوده لهذا الكتاب على هذا النحو فإنه تظل هناك بعض الفجوات التي تركها قاصدا من أجل الوفاء بموضوعه في هذه الحدود ، ولكي يظل الاهتمام مركزا على فكر سوسير نفسه في الدرجة الأولى من حيث إنه موضوع الدراسة))^(٢) ، وقوله : ((وربما بدا للقارئ أن هذه الملاحظة العامة المتعلقة بدور سوسير في تاريخ العلم كان أولى بها أن ترد في الفصل الأول من الكتاب ، الذي خصص لسيرة سوسير العلمية ، ولكن الواقع أن هذه الملاحظة لم تكن لتصبح مفهومة كما ينبغي إلا حيث أوردها المؤلف في ختام كتابه ، بعد أن تم استعراض أركان ذلك العلم الجديد))^(٣) ، ونرى أن هذه النبرة الدفاعية من الناقد ليس الغرض منها هو تمجيد مؤلف الكتاب أو الإعلاء من شأنه ، بقدر ما تكون توضيحا لطروحات النص والكشف عما قد يخفى من الدلالات التي تضيع في خبايا سياق القضايا التي يطرحها الكاتب .

الاعتراضات والردود : أحيانا يسعى الناقد إلى الاعتراض على المؤلف محاولا الاستدراك عليه في بعض المعالجات ، ففي حديث الناقد عن نشأة علم العلامات وأن مؤلف الكتاب حصر نشأة هذا العلم عند سوسير ، فإن الناقد يعترض على هذه القضية ، بل إن الناقد يسعى إلى الرد على المؤلف من كتاب للمؤلف نفسه غير الذي ترجمه الناقد عزالدين إسماعيل ، إذ يقول ((ويحق لنا هنا ... أن نذكر بعض الحقائق المتعلقة بالنشأة ذاتها ، إذ يبدو أنه ليس من الإنصاف كل إنصاف أن تعزى نشأة هذا العلم إلى سوسير وحده ، وإن كانت الظروف قد هيأت لشبوع هذا التصور ... وسنرجع في استيفاء هذا

(١) مدخل إلى عتبات النص : ٥٢

(٢) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ١١

(٣) المصدر نفسه : ٤٨-٤٩

الجانب إلى المؤلف نفسه ، ولكن في كتابه الآخر الثمين المسمى اقتفاء إثر العلامة^(١) ، وهذه القراءة القائمة على الأخذ والرد إنما تعطي لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لترجمات طابعا نقديا يتخطى القراءة التلخيصية المبنية على العرض والتقديم إلى كونها قراءة استتطاقية تسعى إلى مراجعة ما كتبه المؤلف الأصلي للكتاب وإعادة إنتاج نصه بما يراعي البنية العامة لما طرحتها الدراسات الثلاث ، وبما يتسق مع شروط انتاج النص حسب ما يراه الناقد المترجم عزالدين إسماعيل .

٣- المقدمة واستقطاب القارئ :

تمثل المقدمة عتبة أساسية يحاول عبرها الكاتب التوجه إلى المتلقي بغية الكشف عن أسرار التعامل مع المتن المؤلّف ، وإرشاده نحو الطريقة الصحيحة لقراءة هذا المتن ، وتذليل الصعوبات التي قد تواجهه ، بما يرسم منهجا واضحا لاستيعاب النص وتناوله بالصورة التي تؤمّن قراءة صحيحة منتجة ، ومن هنا يجب النظر إلى ((مفهوم الاستقطاب بالمعنى الذي يتجاوز الإغراء والاستدراج التجاري إلى نوع آخر من الاستقطاب ، يتعلق بتغيير الخلفية النظرية التي يحاول المؤلف تمرير تقاطيعها العامة من خلال هذه المقدمة))^(٢) ، بما يجعلنا ننظر إلى أن المقدمة خطاب إشهاري لمضمون الكتاب يحاول الكاتب التبشير للقارئ بجدة الموضوع وأهميته ، مثلما يبشّر بجدة وأهمية الترجمة التي قام بنقلها المترجم إلى لغة القارئ كما في بحثنا ، فضلا عن ذلك فإن الخطاب المقدّماتي يعد حلقة وصل بين المؤلف/المترجم والقارئ فيكون المعبر الذي تمر عبره الوظيفة التوجيهية التي يسعى إليها المؤلف .

إن المقدمة تبعا لذلك تغدو بمنزلة بوصلة موجهة يهتدي بواسطتها القارئ إلى القراءة الجيدة التي تجنبه شطط التأويل وسوء التقدير ، وبهذا المعنى يغدو دور التقديم الأول هو تدشين النص وافتتاحه وكل تدشين يعني بالضرورة التعريف بهذا النص ، من حيث هو ميثاق تواصل من نوع خاص يجري التوقيع عليه بين الكاتب والقارئ ، هذا الميثاق الضمني تحدد بنوده كصفات تلقي النص والتعامل معه في مستويي القراءة والتأويل ، ولهذا تصبح عملية القراءة مشروطة بإدراج المتلقي بطريقة غير مباشرة في النسق المعرفي العام للكتاب ، الذي

(١) المصدر نفسه : ٣٦-٣٧

(٢) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : ٩٢

تشكل المقدمة أحد مداخله الأساسية^(١) ، من هنا كانت المقدمات تؤدي دورا بارزا في التمهيد لاستقبال النص المؤلف حيث إنها تُعدُّ ((مداخل مؤطرة لاشتغال النص وتداوله لإنها تحدد نوعية القراءة ، بما لها من تأثير مباشر على القراء ، فهي تضع النص منذ البداية في إطار مؤسسة ثقافية وأدبية ، يكون لها في الغالب دور حاسم في توجيه القراءة والتأثير على القراء))^(٢) ، وقد كان الناقد عزالدين إسماعيل مدركا أهمية القارئ في تلقي النصوص المترجمة ، ولهذا كانت مقدماته مراعيةً لهذا الدور الذي يضطلع به المتلقي في الاستقبال ، مما جعل مقدمات الترجمة تأخذ حيزا كبيرا في التوجه نحو إرشاد القارئ وتوجيهه لكي تضمن قراءة سليمة للنص المترجم من جهة ، مثلما يسعى إلى التبشير بالموضوع المترجم وأهميته في المنظومة المعرفية.

وقد تركزت عناية الناقد عزالدين إسماعيل بالمتلقي في مقدماته بأربع وظائف :

بيان الأهمية المعرفية للكتاب : يرى بعض الدارسين أن من بين وظائف الخطاب المقدماتي هو السعي إلى تنبيه القارئ وتوجيهه وإخباره بأصل الكتاب وظروفه ومراحل تأليفه ومقصد مؤلفه وهذا ما يمكن أن نصلح عليه باستراتيجية البوح والاعتراف ، ويمكن عدّها الوظيفة المركزية^(٣) ، وقد حرص الناقد عزالدين إسماعيل على هذه الوظيفة في مقدماته الثلاث ، يقول في مقدمة ترجمته لكتاب (نظرية التلقي) : ((ها هو الكتاب الذي رأينا أن ننقله إلى العربية ، لما له من أهمية تاريخية ونظرية وعملية ، فإذا كان صاحبه قد كتبه بالإنجليزية لكي يتيح لأبناء هذه اللغة أن يتعرفوا الفكر النقدي الألماني المعاصر ، والنموذج النقدي الجديد الذي طوره هذا الفكر متمثلا فيما سمي بنظرية التلقي ، فإن ما قصدت إليه هذه الترجمة هي إتاحة هذا الفكر وهذه النظرية للقارئ العربي كذلك ، في وقت مقارب نسبيا))^(٤) ، ولا يقتصر الناقد المترجم على إخبار القارئ أهمية موضوع الكتاب بل يقوم بدور اشهاري على اختياره لهذا الكتاب تحديدا ، إذ يرى أن ((القيمة الخاصة للكتاب لها كذلك وزنها ، إذ يعده البعض أفضل عرض متاح حتى الآن لنظرية التلقي ، ويرى انه المرجع المعتمد لكل

(١) المصدر نفسه : ٩٢

(٢) عتبات النص الادبي بحث نظري ، حميد لحداني ، مجلة علامات ، ج : ٤٦ ، م ١٢ ، شوال ١٤٢٣ هـ ،

ديسمبر ٢٠٠٢ : ٢٣

(٣) مدخل الى عتبات النص : ٥١

(٤) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٢٣

من يهتم بهذه النظرية في الفكر الألماني))^(١) ، ثم يتوجه إلى أهمية تعرف القارئ العربي للطروحات التي يقدمها النص المترجم ((ولست أشك في أهمية تعرف القارئ العربي هذه النظرية ، لأن الاشتغال بدور القارئ أو المتلقي في إطار النظر النقدي العربي الحديث والمعاصر لم يكد يبدأ ، وسيكون هذا الاشتغال بمثابة مدخل جديد إلى نظرية الأدب ، ينير جوانب منها ظلت حتى الآن تعاني التجاهل والاهمال))^(٢) .

فالناقد يحاول أن يعطي لعمله سبقا معرفيا في ترجمته لدراسة في نظرية التلقي ، فعلى الرغم من ترجمة العشرات من الدراسات في هذا الموضوع من نقاد معاصرين للناقد عزالدين إسماعيل - قبل أو بعد صدور هذا الكتاب - إلا أنه في الحقيقة كانت ترجمته ناجزة ومتميزة ، فضلا عن أن اختيار ترجمته لهذا الكتاب كانت غاية في الأهمية ، وهذا ما أكده بعض الدراسين إذ عدّ هذا الكتاب مع كتابين اثنين صدرا ((أهم ما ترجم إلى العربية عن نظرية التلقي كتاب روبرت هولب (نظرية التلقي ، مقدمة نقدية) كتاب مهم لسمعة مؤلفه الطيبة في الكتابة عن الموضوع في هذا الكتاب))^(٣) ، وهذا ما يؤكد حقيقة ما ذهب إليه الناقد عزالدين إسماعيل في أهمية اختياره لهذا الكتاب ونقله إلى اللغة العربية لاسيما انه أشار إلى أهمية هذا النقل - في مكان آخر - من ((أن الفكر النقدي العربي في جملته قديما وحديثا ينطوي على رؤى وأفكار يمكن أن تنتظم حول نشاط التلقي الأدبي أو الفني ، وأن تُتمى لتصنع في النهاية إطارا نظريا خاصا ، يكون بمثابة تطوير أو إضافة إلى النظرية العامة ، ويكفي هذا مبررا للإقدام على ترجمة هذا الكتاب))^(٤)

أما المقدمة الثانية للناقد في ترجمته لكتاب (فرديناند دي سوسير/أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، فإن أشارته لإهمية الكتاب وسبب اختيار موضوعه للترجمة كانت من بعيد ، إذ ألمح إلى سببين اثنين ، الأول : هو أن تأثير فكر سوسير ما زال ممتدا حتى اليوم ، والسبب الثاني أن هذا الفكر السوسيري لم يوظف في منطقتنا العربية التوظيف الكامل

(١) المصدر نفسه : ٢٣

(٢) المصدر نفسه : ٢٣

(٣) قراءة الآخر/قراءة الأنا ، نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد الادبي العربي المعاصر ، د. حسن البنا عزالدين ،

سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ : ١٠٣-١٠٤

(٤) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٢٣

على مستوى الدرس اللغوي فضلا عن الدراسات الاجتماعية والإنسانية الأخرى^(١) ، وهذا ما أعطاه مسوغا لاختيار هذا الموضوع وترجمته للكتاب.

وتأتي الإشارة إلى الأهمية المعرفية لكتاب (مقدمة في نظريات الخطاب) مقتصرة على كلمة الناشر الأصلي للكتاب ، إذ ينقل المترجم ما ورد في صفحة الغلاف الأخير قوله : ((هذا أول تقديم نقدي لنظريات الخطاب التي طورها فوكو والتوسير وبيشو وهندس وهيرست ، وفي الوقت نفسه - من منظور الناشر نفسه - أول استعراض وتقديم لمنطقة في نظرية النقد بالغة التعقيد ، هي المنطقة الواقعة في القلب من المجالات الدائرة حول الشكل والمعنى والإيديولوجيا والنقد الأدبي والعلوم الإنسانية))^(٢) ، وبهذا تتضح الأهمية المعرفية لهذا الكتاب عبر وجهة نظر الناشر الذي اكتفى الناقد المترجم به .

صعوبات القراءة والتلقي : يطمح الناقد عزالدين إسماعيل إلى تذليل ما قد يواجهه المتلقي في قراءته للكتب التي ترجمها من صعوبات لاترجع إلى طبيعة الترجمة بقدر ما يكون سبب هذا التعقيد نص المتن المترجم نفسه ، إذ يقول في مقدمته لكتاب (نظرية التلقي) :

((وقد يجد القارئ بعض الصعوبة في قراءة الكتاب ، لا في الترجمة فحسب بل في الأصل كذلك ، والسبب في ذلك راجع إلى أن المؤلف يسرف أحيانا في الصياغة التجريدية لأفكار الآخرين التي يعرضها ، كما أنه يدخل في سياق عرضه جملا أو أجزاء من جمل من كلامهم منتزعة من سياقها الأصلي فتكون ناتئة في بعض الأحيان وتتطلب إعمال الفكر ، هذا في الوقت الذي يحرص فيه المؤلف على أن يكون موقفه النقدي من الأفكار التي يعرضها فيختلط العرض عندئذ بهذا النقد ، من أجل هذا تتطلب قراءة هذا الكتاب صبرا وإعمالا للفكر ، وعند ذلك يتبين القارئ تماسكه الفكري وإحكامه المنهجي ، وفي هذا الإطار سوف تتكشف دلالة بعض المواضع الجزئية التي بدت مبهمة للوهلة الأولى))^(٣) ، إن الناقد في هذه الفقرة يعترف بصعوبة بعض النصوص المترجمة ويوعز بصعوبة بعضهما إلى النص الأصلي ، إلا أنه في نص آخر يفصل في هذه الصعوبات بأنها راجعة إلى ((منهج التناول الذي يقوم في الكتاب على التشعيب والتفريغ ، ويتطلب لذلك يقظة شديدة من القارئ لكي يتابع حركة

(١) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ١١

(٢) مقدمة في نظريات الخطاب : ١١

(٣) نظرية التلقي مقدمة نقدية : ٢٣- ٢٤

التفكير في شيء من الطمأنينة ، كما يتمثل في اللغة الكزة التي يغلب عليها طابع التجريد ، والتي يكثر استخدامها في مثل هذه الكتب ، التماسا للتركيز الشديد من جهة ، واعتمادا على الخلفية المعرفية لدى القارئ من جهة أخرى^(١) إلا أنه يوجه القارئ نحو التأني والصبر وإعمال الفكر ، حتى يتبين ما قد صعب وتعتقد ، وما كان مبهما ، وهذا في حد ذاته محاولة من الناقد/المترجم تظمين القارئ إلى أن هذه الصعوبة عرضية ، وفي الوقت نفسه تدليل للعقبات التي قد يواجهها هذا القارئ بما يضمن استقطابا للنص المترجم ، جاعلا من مقدماته طريقا سالكا إلى القراءة الصحيحة التي تضمن مقاصد الكتاب ومضامينه .

ومن هنا فإن الناقد يقدم التبريرات لكتابة مقدماته في أن وظيفتها الأساسية هو تدليل معوقات القراءة أمام المتلقي ، إذ يقول : ((وربما ساعد المخطط العام لحركة الفكر في الكتاب كما عرضته هذه المقدمة على جعل القارئ مطمئنا إلى مواطئ قدميه حيثما تقدم في قراءة الكتاب ، ليحني أخيرا الثمرة التي توسمتها حين أقدمت على تحمل عبء هذه الترجمة ومسؤوليتها))^(٢) ، فضلا عن وظيفة ثانية يراها الناقد لكتابة هذه المقدمات للقارئ تتمثل في ((جدة الموضوع الذي يعالجه الكتاب إجمالا وتفصيلا ، وذلك إذا نحن أخذنا في الحسبان القطاع العريض من القراء الذين يجدون للموضوع مكانا في دائرة أهتمامهم ، وهذا ما اقتضى مقدمة تمهدهم للدخول إلى الموضوع ، وتحدد لهم معالم الآفاق الفكرية التي سيواجهونها في الكتاب ،))^(٣) ، وفي الحالات جميعها فإن غاية الناقد في مقدماته هو أن ((يصبح القارئ قادرا على إدراك جملة العلاقات التي تصنع إطار العام للخطاب))^(٤) ، و((أن يجعل الصورة أكثر وضوحا لدى القارئ العربي))^(٥) ، وعندئذ فإن ((قارئ الكتاب نفسه قمين بأن يدرك في انشاء قراءته وعند الفراغ منها المبررات التي تعطي هذه المقدمة شرعيتها ، وتغفر لها هذا الطول لما اشتملت عليه من عرض منظم لمحتوى الكتاب من جهة ، ومن حديث إضافي))^(٦) ، وهذا ما أكد عليه فيليب لوجو حين رأى أن المقدمة ((تصنع ميثاقا تمهيديا

(١) مقدمة في نظريات الخطاب : ٧

(٢) نظرية النلقي مقدمة نقدية : ٢٣-٢٤

(٣) مقدمة في نظريات الخطاب : ٧

(٤) المصدر نفسه : ٦٣-٦٤

(٥) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ١١

(٦) مقدمة في نظريات الخطاب : ٦٣-٦٤

يعطي للنص بعده التداولي ، وتنشئ له محيطا تنتظمه إيضاحات وشروح يعسر على القارئ العادي (إحاطة بها)^(١) ، لتتم بذلك الوظيفة التواصلية التي تحقق فعل التواصل بين المنشئ والقارئ منتجة قراءة مثمرة للنص .

وعلى الرغم من أن الناقد يلقي اللوم على مؤلف النص الأصلي بسبب صياغته أو صعوبة أسلوبه أو عرضه للمادة ، ويجعل من مقدمته وسيطا للقارئ لأجل تقديم النص المترجم في صياغة واضحة ومترابطة في نسق فكري متصل ، واستكمال ما لم يدخله المؤلف في دائرة عنايته ، إلا أنه يؤكد على مسألة حساسة جدا ، في أن إضافته هذه لا تعني قصورا بالمؤلفين ، وإنما هي إضافة لإجل القارئ العربي وما يبدو ضروريا له^(٢) ، وهذا ما يؤكد أن الالتفات من الناقد إلى هذه المسألة وغيرها إنما هو إقرار منه بأن المتلقي عنصر فاعل وأساسي في عمله الترجمي ، وأن مشاركة الناقد لهموم المتلقي وإيمانه بدوره في عملية القراءة هو استقطاب لإجل ضمان نجاح هذه الترجمة ، وجانب أساسي من نجاح منهجه ووصوله إلى درجة التواصل المعرفي المشترك .

وهذا في الحقيقة يؤكد أن المؤلف وعبر مقدمته ((يسعى باستمرار إلى فرض علاقة متميزة مع قارئه ومتلقيه سواء كان فردا أم جماعة أم رمزا ، وتبدأ هذه العلاقة بنوع من استدراج المتلقي لكسب موافقته للتصديق بالحكم وقبوله ، لتنتهي في الأخير بمحاولة إخضاعه وإذاعته ثم انقياده وذلك لإن إيمان القارئ بحسن نية المؤلف شرط أساسي لنجاح منهجه وبث خطته)^(٣) ، وهو ما حرص عليه عزالدين إسماعيل في مقدماته التي اتجهت نحو تحقيق الوظيفة التواصلية مع المتلقي .

تحديد نوع القارئ :

تسعى بعض المقدمات إلى تعيين قرائها الذين ترغب في وصول النص إليهم ، كما تحاول في الوقت نفسه تجنب نوع من القراء لا ترغب فيهم ، سواء تم التعبير عن ذلك صراحة أم ضمنا ، فإن كل كاتب يحمل فكرة محددة عن نوعية القراء الذين يتوجه إليهم

(١) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص : ١٤٨

(٢) ينظر : فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ١١ ، مقدمة في نظريات الخطاب :

٨-٧

(٣) مدخل الى عتبات النص : ٥٠

بكتابه ، وأيضا عن أولئك الذين يتمنى تجنبهم^(١) ، ومن هنا يسعى الناقد عزالدين إسماعيل في مقدماته إلى تحديد نوعية القارئ الذي يكون مهيباً لقراءة الترجمة ، فيصنف القراء إلى قارئ ملم بأطراف القضايا المطروحة في الكتاب ، وقارئ محدود إلامام بهذه القضايا ، إذ يرى في مقدمته لكتاب(فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) أن ((الإشارات التي أوردها المؤلف من هذا النوع قد تكون كافية لدى قارئ ملم بأطراف القضايا التي طرحها الفكر اللغوي والنقدي الحديث والمعاصر ، ولكنها لن تكون كذلك لدى قارئ محدود إلامام بهذه القضايا)) ، ولهذا ينزل إلى مستوى القارئ الثاني(محدود إلامام) فيجعل مقدمته متاحة لهذا النوع من القراء ((ومع أنها في صورتها المختزلة هذه قد تكون مغرية للقارئ بالتوسع في قراءته لتحصيل المعرفة اللازمة فقد رأينا - تيسيرا على القارئ في الوقت الراهن - أن نضيف هنا أحيانا بعض المعلومات التي تجعل الصورة أكثر وضوحا فيما يتعلق ببعض الجوانب التأصيلية من جهة ، وبعض وجوه التأثير السوسيري في المراحل التطورية المختلفة في الفكر الغربي المعاصر من جهة أخرى))^(٢) ، فالناقد يحاول هنا استدراج القارئ إلى مفاتيح القراءة الصحيحة عبر مقدمته التي يجعل منها معبرا إلى فضاء النص ، محاولا تغيير مقدمته من مقدمة محايدة للنص إلى عنصر وظيفته النفاذ إلى أعماق النص ، عبر خطاب كاشف لأنساق ترجمته وما تتضمنه من طروحات معرفية جديدة ، لا يستطيع المتلقي العادي أن يستوعبها بدون خطاب الناقد المقدّماتي .

طريقة قراءة المقدمة :

من الإشكاليات التي تعرضت لها المقدمات عند الدارسين هي وجودها من حيث القبول والرفض ، أو وجودها من حيث مكانها قبل النص أو بعده ، فقد رأى بعضهم ان المقدمات قد تضع ((حاجزا بين القارئ والكتاب أو حدا من حرية قراءته على الأقل))^(٣) ، وربما تكون عتبة قد تشوش على طبيعة النص ووشاية - بطريقة غير مباشرة - بأسرار النص المركزي الجوهرية^(٤) ، وهذا الرفض متأث - حسب ما يذهب إليه جيرار جنيت - من أنها تؤسس

(١) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : ٧٩-٨٠

(٢) فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٨-٩

(٣) مقدمة محمد بنيس لكتاب الاسم العربي الجريح ، د. عبدالكبير الخطيبي ، منشورات الجمل ، بغداد ، بيروت ،

٥ : ٢٠٠٩

(٤) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : ٨٩

للحظة تواصل غير متكافئ ، ومن ثم أعرج ، ما دام الكاتب ، يقترح فيها على القارئ التعليق القبلي على نص لم يعرفه بعد ، لذلك فإن العديد من القراء يفضلون قراءة المقدمة بعد النص ، أي بعدما يعرفون عن أي شيء يدور^(١) ، وهذا الأمر أدى إلى رفض المقدمات - عند بعضهم - وعدم قبولهم لها ، بوصفها عتبة يلج عبرها القارئ إلى النص ، حاملا معه اقتراحات المؤلف التي تكون بمثابة المصادرة على حرية المتلقي وإساءة حقيقية لإمكانيته المعرفية .

أما من يؤمن بالمقدمة عتبةً أساسيةً للنص فإنه لا يرى فيها إلا خطابا مساعدا للقارئ ، وإن مقدمة المؤلف ((لا تصادر على حرية القراءة ، ولا تلزمهم برؤية قبلية حول الموضوع ، إذ إن لكل قارئ تفسيره الخاص للعمل ، سواء مما تطرحه الرواية أم المقدمة ، وهذا ما ينفي أمر مصادرة حرية القارئ في إعادة إنتاج النص بطريقته الخاصة بعيدا عن سلطة المقدم وعا كتبه ، ما دامت العملية الإبداعية الحداثية تعتمد على ذكاء القارئ ومخيلته التي تمكنه من التحرر من سطوة كل مقدمة ، بمخالفتها ومعارضتها ومحاورتها في الآن نفسه))^(٢) ، ومن هنا فإن المقدمة قرئت من القارئ أم لم تُقرأ ، وسواء قرئت قبلا أم بعدا فإنه يبقى غير ملزم بشيء من ذلك وتبقى المقدمة خيارا متاحا له في كل الأحوال .

والناقد عزالدين إسماعيل لم يكن بعيدا عن هذه الإشكالية ، بل كان حريصا على أن يكون خطابه المقدماتي مؤديا وظيفته بما يحقق توصالا معرفيا مع قارئه ، ولهذا فإنه يضع منهجا لقراءة هذه المقدمات ، ((فمن حق قارئ هذا الكتاب أن يقرأ هذه المقدمة في البداية ، ومن حقه كذلك أن يقرأها بعد أن يفرغ من قراءة الكتاب ، وفي الحالة الأولى يرجى منها أن تضع القارئ في المناخ الفكري العام للكتاب عبر استعراضها المسهب نسبيا لمحاورة الفكرية الأساسية ، وما اشتملت عليه من الإضافات التي تعين على اكتمال الصورة والتصور ، وفي الحالة الثانية يمكن أن تقوم هذه المقدمة بمهمة تأكيد الخطوط الفكرية العامة للكتاب ، وتثبيت ما طرح فيه من قضايا ومشكلات ، وما أثير فيه من جدال ومنازعات ، وفي كلتا الحالتين لا يخرج الهدف الأخير منها عن تحقيق فائدة مرجوة للقارئ))^(٣) ، بهذا يعطي الحرية

(١) العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية : ١٦٦ ، وينظر: عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناس): ١٢٤

(٢) خطاب المقدمات في الرواية العربية (التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : ٨٨ ، ٩٠

(٣) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : ٥٣

للقارئ في كيفية قراءة مقدماته ، ولا يلزمه بدافع إكراه أو إلزام ، أو الواجب والفرص ، بل يفتح له أفقا واسعا للتعامل مع هذه المقدمات ، ويخرج من إشكالية ما قد يفسره بعضهم بالإملاءات الذي تسبق النص المترجم والتي تكون أحيانا مؤسسة على تفسيرات مسبقة للنص ، وبهذه الاستراتيجية يكون خطاب الناقد عزالدين إسماعيل المقدّماتي مبينا على مراعاة بعده التداولي ، وموجها للعملية القرائية التي تطمح للوصول إلى مقصدية الكاتب ، بصورة تشتبك مع هموم المتلقي وما قد تهيئه لاستقبال النص المترجم .

**Discourse of Introduction of the critic Ezzudden Ismael
Asst.Prof.Dr.Raid Foad Talib
Abstract**

the translation of introduction from one of the topics that still lacks studies, and those who dealt with the introductions focused their efforts on creative introductions and critical introductions, as for the study of the introductions to Arabic translations, they are very few, and this research seeks to study the introductions of the critic Ezzuddin Ismael to his translations, through what he presented of issues and theses in these introductions.

key words : Discourse , Thresholds , Introductions , criticism, Ezzuddin Ismael